الفصل الأول

مطلع الفجر

أبدأ سلسلة اختباراتى فى الروحية بذلك اليوم الذى فيه سمعت محاضرة ألقاها أحد صيادلة الفيوم المرحوم فوزى افندى غبور الدبرى بدار جمعية أصدقاء الكتاب المقدس .

ففى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٧ كنت أسير مع صديق لى بأحد شوارع الفيوم ، وإذا بصديق ثالث يمر بنا مسرعاً ، وبالسؤال عرفنا أنه ذاهب لسماع محاضرة عن « مناجاة الأرواح » .

استرعى انتباهنا غرابة الموضوع فاصطحبنا هذا الصديق إلى حيث مكان الاجتماع ولم يخل سيرنا من دعابات فقال صديق الأول من يدرى فربما المحاضر سيحضر معه هيكلا عظميا وبقوة سحرية يستدعى روحا من أرواح الموتى لتلبس الهيكل فتناجينا ونناجيها ، وقال الزميل الآخر ، ولِمَ لا تقول إنه سوف يدعونا لزيارة أحد المقابر ، وهناك بقدرة قادر وبما لديه من عزائم وتعاويذ ينادى الموتى فيخرجون من مقابرهم ليخاطبونا ونخاطبهم ، فقلت وقد يرسو الحال على إحضار زجاجة بها روح النعناع أو روح النشادر .

وهكذا أخذنا نتبادل النكات حتى وصلنا قبل بدء المحاضرة بقليل .

وقف المحاضر وأخذ يظهر كيف بلغت الأبحاث الروحية فى أوربا وأميركا منزلة جليلة وترقت رقياً باهراً . مع أنك تجد بلادنا الشرقية — وهى موطن الأنبياء والروحيين لم تتقدم فى هذا المضمار قيد شبر فى عصر الرق والنور ، بل أهملت تراث الآباء واكتفت بالقشور دون اللباب فخيمت فى جوها عناكب الشعوذة والتدجيل حاملة اسم الروحيات .

بعد ذلك أخذ يدعم أقواله بحوادث غاية فى الغرابة أذكر منها ما وقع للعلامة السير أوليفر لودج وكيف أن ابنه ريمون ، وكان قد قتل فى الميدان إبان الحرب العالمية الأولى ، حاول الظهور لوالدته ذات ليلة عقب انتقاله بينما كانت مستلقية على فراشها وقبل أن يداخلها النوم . شعرت به وهو يقترب منها محاولا الظهور لها ولكنها انزعجت وخرجت تجرى إلى غرفة زوجها تروى له الحادث فطمأنها وطلب منها أن تهدئ روعها وتستقبل ابنها عله يحمل رسالة لها .

رجعت لغرفتها حيث حاول ريمون الظهور لها من جديد ، فتجلدت ورحبت به ليطلب إليها النزول مع والده إلى ركن معين بحديقة الدار ، وهناك يحفران حوالى النصف متر حيث يجدان ملفا من الأوراق طلب تسليمه إلى فتاة تسكن فى دار معينة .

كانت الليلة قارسة البرد ، ولكن رغم ذلك قام العلامة الروحى بتنفيذ طلب ولده ليقف على مبلغ هذا الاختبار الروحى من صحة . وهناك وفى المكان المعين عثر على الملف المذكور فحمله واستصحب زوجته إلى الدار التى عينها ابنه .

قرع الباب ففتحت له سيدة متوسطة العمر ، وبينما هو يسألها عن الفتاة ذاكراً اسمها خرجت هذه وكانت على قسط وافر من الجمال ، وحالما وقع بصرها عليه تذكرت ريمون ولم تكن قد سمعت خبر انتقاله فتبادر إلى ذهنها أن الوالد قد أتى نائبا عن الابن فى طلب يدها ، ولكن سرعان ما خاب ظنها عندما تناولت الملف لتجد به ما سبق وأرسلته من خطابات لريمون أثناء وجوده باليدان ، وقبل أن تفيق من دهشتها بادرها الأب بقصة ابنه من وقت ظهوره لوالدته حتى تسليم الملف .

ما كادت تتأكد خبر « موت » حبيبها حتى وقعت مغشيا عليها ، وبعد أن أفاقت من غشيتها أخذت تسرد قصتها مع ابنه ، وما كانت معه على وعد بالزواج عقب رجوعه من اليدان وأخذت تطلع الأب على محتويات الملف وقد أُخذ بما سمع من الفتاة ، إذ أنه لم يكن يدرى من قصة ابنه معها شيئا .

كنت أسمع القصة كباقى الحاضرين ولولا حدوثها لعالم كهذا له مكانته العالية لكنت قد نسبتها للخيال والخبل .

خرجت من الاجتماع وقد امتلأ رأسى بمادة للتفكير ، ولكن غرابة الحادث ومخالفته لما هو معروف عن الموت وقد علمه لنا رجال الدين من أنه رقاد فى القبر حتى يطلبنا ولى الأمر جعلنى أتأرجح فى تفكيرى بين عاملى الشك واليقين إلى أن كنت بمكتبى فى اليوم التالى ، وإذ بأحد أصدقاء مدير المكتب وهو موظف كبير بمديرية الفيوم ، يحضر كعادته لزيارة صديقه وبادرنى بطلب إبداء رأيى عن محاضرة الأمس فأظهرت له دهشتى وميلى إلى التصديق بصحة ما سمعت خصوصاً وأن الحادث قد وقع لشخص غير عادى ، بل لمن يعد فى مقدمة علماء انجلترا بل شيخ العلميين وكبير العلماء الروحانيين فى زماننا ، وقد كافح طيلة حياته كفاح العالم المنطيق فى سبيل العلم الروحى الحديث أيام كان أستاذاً للطبيعة فى جامعة لفربول وأيام كان مديراً لجامعة برمنجهام وبعد تقاعده عن الوظائف وتفرغه للبحوث والمحاضرات

فهذا وأكثر من هذا مما ذكره المحاضر عن هـذا العالم الجليل يدفعنى دفعاً إلى تصديق ما سمعت . فأشار علىّ باستعارة كتاب له عند المحاضر يسمى « تجاه الكواكب » .

ذهبت تواً عقب الانتهاء من العمل لأسأل المحاضر الكتاب .

أقبلت على قراءته بشغف عظيم ولم أنم الليل حتى أنهيته ، فازدادت دهشتى واشتد إعجابى بهذا الموضوع الشيق عندما قرأت لأحد كتاب الإنجليز المدعو دنس برادلى H. Dennis Bradley وكثيراً ما كان يهزأ بالروحية ناسباً إلى بحاثها الهوس والجنون .

زار صديقاً له شغف بهذا العلم ويدعى جوزيف دى ويكوف بناء على دعوة منه للإقامة بقصره الريفى الواقع بإحدى قرى مقاطعة نيوجرسى .

وكان الشخص الوحيد الآخر فى ضيافته ابن أخته المستر جوزيف داشير وهو طالب فى العشرين من عمره .

أراد الكاتب أن يجرب حضور جلسة على سبيل التسلية فلم يرفض دعوة مضيفه الذى أرق إلى وسيط يدعى جورج ڤالينتين .

وهنا أترك المجال لبرادلى ليتكلم عما رأى ويتحدث عما شاهد حيث قال :

« انتخبنا غرفة ليعقد فيها المجلس أو الاجتماع حسبما يروق للإنسان أن يسميه ، وكانت الغرفة التى اخترناها من غرف اللبس متوسطة المساحة ذات نافذة كبيرة وبابين أحدهما يفتح على غرفة الاستحمام المتصلة بغرفة نوم ، والآخر يفتح على الممر وبها قليل من الأثاث . وأثناء الجلسة أغلقنا بابيها بالأقفال ووضعنا خلف كل منهما قطعة من الأثاث حتى لا يتمكن أحد من الدخول أو الخروج .

وضع صديقى « دى ويكوف » حول معصمى الوسيط سوارين مضائين لتظهر أى حركة تبدو منه فى الظلام ، وجلسنا فى مقاعدنا على شكل دائرة أو بعبارة أخرى فى أربع زوايا من مربع يبعد كل منا عن الآخر خمسة أقدام تقريباً ، ووضع بيننا بوقين من الألومنيوم « قيل إن الأرواح تستعملهما فى تقوية أصواتها الخافتة » ، وطليت أطرافهما بطلاء مضىء وأطفئت الأنوار : فبدت لى كل هذه الأعمال كأنها نوع من السخف ، وعجبت كيف يستسلم أناس مهذبون لمثل هذا النوع من التسلية الصبيانية ، ودهشت لميل عقل نير كعقل مضيفى دى ويكوف لصرف وقته فى مثل هذه الترهات .

وأخذنا نتحدث بأصوات عادية حسبما يدور برؤوسنا من الكلام ، وكم من الغباوة بمكان أن يتسامر الرجال فى الظلام لتمضية الوقت . ولما لم يحدث شىء غنينا أناشيد كما يفعل

عمال المناجم المقبورون لتسهيل ساعات العمل . وكنا كلنا ذوى أصوات منكرة وكان صوتى أنكر الجميع . ثم عدنا للتحدث فشعرت بضيق أنفاسى واشتد سخطى على غباوة هؤلاء الخلق . فقد كان فى الخارج كتب أود قراءتها ، وكونياك طيب كنت على شوق لاحتسائه . وبدا لى أن حياة اللهو اليومية لأفضل من هذا المعرض معرض البلاهة والسخف .

ثم رغمنا بأصوات أشنع . وإن كانت الغاية من الترانيم حسنة إلا أنى أمقت توقيع ألحانها وأكره نظمها الركيك ، ويثور عقلى ضد توسلات المداهنة للإله الذى يغضب بلا شك من أمثال هذه التكريرات المملة ، ولو كان الغناء يحقق غرضاً معيناً أو يصلح من التخاطب لما أفلح فى هذه الحالة .

« انقضت عشرون دقيقة » .

عندئذ جال فى خاطرى : أردت التسلية فتولانى السأم واعترانى الحنق ونفد صبر سكوتى على هذه الخزعبلات .

وعدت غير راغب فى الاستزادة منها وزالت عواطف تشوق لما هو غريب ، وسخرت من مقام هو أشبه بمعرض للسخف والاستهتار . وتجمد أنفى سخطاً وتدلت شفتاى امتعاضاً . ولكن لحسن الحظ كانت ملامح وجوهنا لا ترى ... وعلى غرة حدثت العجيبة الخارقة .

فقد ساد فجأة سكون تام ، وفى لمحة شعرت بوجود شخص خامس فى الغرفة واخترق السكون نغمة رقيقة ناعمة لصوت سيدة نادتنى باسمى . وكان صوتها الذى سمع على بعد ثلاثة أقدام من يمينى شديد الانفعال ، فتمالكت كعادتى شعور رزانتى ودقة بحثى وقوة ملاحظتى ولم تعرونى رعدة أو اضطراب وأجبت بلهجة طبيعية « نعم » فكرر الصوت اسمى مرتين بحالة تنم على وفرة الانفعال ، كما لو كانت صاحبته شديدة الاغتباط بما فوق الحد لقدرتها على تحية حبيب تلاقت به بعد فراق طويل ، ثم دار الحديث الآتى بيننا :

هـ . د . ب : نعم ها أنذا . ماذا تريدين أن تقولى .

الصوت : أوه . أحبك . أحبك .

«وصدرت هذه الألفاظ بعذوبة خلابة وحنان عظيم . ورغماً من أنى سمعت هذه العبارة عينها تصدر عادة من أفواه الممثلات القديرات فى الدنيا ولكنى ما سمعتها قط تقال بمثل هذا الحنان الفياض » فراجعت ذاكرتى فيما مضى لعلى أذكر امرأة أحبتنى فلم أفز .

هـ د ب : ألا تتكرمين بتعريفى من أنت وما اسمك ؟

الصوت : « أنى » .

عندئذ أدركت كل شيء ولكن بذلك الارتياب الغريزى الذى يداخل الإنسان عند ما يتصل بشيء غامض وطلبت منها أن تذكرلى اسمها كاملاً .

الصوت : أنا أنى أختك .

ودار الكلام بيننا بلهجة جلية مسموعة وبصوتين فى مستوى واحد كما لو كنا نتكلم ونحن على الأرض وقيلت كل كلمة على مسمع من الثلاثة الرجال الموجودين فى الغرفة وإنى على يقين أنهم جميعاً كانوا يجهلون تماما شؤونى العائلية ولا يعلمون قط أن قد كان لى أخت توفيت منذ عشر سنوات .

وحال وجودها على الأرض كنا نتبادل معا شعوراً خاصا وتفاهما عقليا غير مألوف بين أخ وأخته .

وما كان عقلى الثائر الجامح المدقق العنيد فى أيام شبابى يرضخ لغيرها من افراد عائلتى وكنا نتبادل بيننا إحساساً نادر الرقة بلا أدنى تكلف وكانت تكبرنى ببضع سنوات ولها ملكة عقلية ارتقت بسرعة غريبة وبلغت من سعة الاطلاع درجة تحسد عليها وكانت فى حال حياتها على الأرض ذات صوت رقيق جميل الوقع على السمع ومنطق فصيح ممتاز على الدوام ولها تدقيق مفرط فى انتقاء الألفاظ ولم تصادفنى قط سيدة تتكلم بأسلوبها هذا الفذ .

فلما خاطبتنى بعد صمت عشر سنوات تجلى ذلك الأسلوب الخاص ونفس المنطق فى كل عبارة من كلامها وظهرت فى لهجتها كل خواصها الدقيقة للغاية وتحدثنا حوالى خمس عشرة دقيقة فى أمور لا يعرفها غيرنا وعرفتنى أنها كانت تحاول منذ عدة سنين الاتصال معى بالكلام وأنها كانت تلازمنى على الدوام وترعانى وتصاحبنى فى رحلاتى وأنها على علم بالكتب التى ألفتها وبكثير من الأمور التى حدثت بعد وفاتها وقالت أنها كانت تحضر إلىّ فى ساعات انفرادى بمكتبى عند اشتغالى فى التحرير وتغذى عقلى بالأفكار وأثناء تحدثنا عن مؤلفاتى تخلل صوتها رنين العذوبة والرقة لما قالت « كنت دائما أحيطك بكل عنايتى عندما كنت تعكف على تحرير كتبك » ولما سألتها عن حياتها فى العالم الآخر أجابت « إننى أنعم بسعادة تامة خالية من الآلام وإنها لحياة عجيبة » أما سرورها فقد كان فوق الطاقة لتمكنها من وسائل التخاطب معى . وأخيرا شعر كلانا عندما طال الحديث أننا أجحفنا بحقوق بقية الحاضرين لإشغال معظم وقتهم فى الإصغاء لحديثنا الخاص (وكنا طول مدة حديثنا فى غاية الغبطة . سرورا بالبقاء بعد موت الجسد وفرحا بالحياة الأبدية . ولتحقيقنا آمالاً خارقة وبلوغنا فجر الوجود غير المدرك) وقبل مبارحتها طلبت منها أن تعود لمكالمتى فى الليلة القادمة

فوعدتنى بذلك وحيا كل منا الآخر قائلا (ليلتك سعيدة) وسمعت منها رنين قبلة عالية عندما همت بالرحيل !

فى اليوم الثانى أرجعت الكتاب لصاحبه الذى بادرنى بالسؤال إذا كنت أرغب فى مخاطبة أحد فى عالم الروح ، ولما كانت أمنيتى تطبيق العلم على العمل ذهبت لزيارته مع صديق لى .

رحب بنا وأدخلنا إلى غرفة الجلوس حيث أعد لنا منضدة مستديرة الشكل ملساء السطح وقد كتب على حافتها الحروف الأبجدية ، وفى وسطها وضع فنجان عادى .

وهنا شرح لنا كيف أننا سنجلس حول المنضدة فى ضوء أحمر خافت وكل منا يلمس الفنجان بأصبعه دون أن يضغط عليه حتى لا تعاق حركه ، وبعدها نفكر فى الروح المرغوب الاتصال به فيأتى هذا وبتحريكه الفنجان نحو الحروف الأبجدية نتلقى الإجابة على ما نطرح عليه من أسئلة .

ولما كان الأنبا إبرام معروفا ولا سيما لأهل الفيوم اتفقنا على تركيز تفكيرنا فيه مستعينين فى ذلك بالتحديق فى صورة له كانت معلقة بالغرفة .

جلسنا حسب التعليمات وبدأنا بتلاوة الصلاة الربانية أعقبها صمت تام . استمر بنا حوالى النصف ساعة على هذا الوضع دون الوصول إلى نتيجة ما — كررنا الجلوس ولكن بدون جدوى .

أخيرا استمرت المنضدة على أمل مداومة الجلسات حتى الوصول إلى شىء ما .

وحدث ذات ليلة أن جلست مع أخى نجيب ووضعنا أصابعنا كالعادة ، ولم تمر عشرة دقائق حتى سمعنا دقة قوية على مكتبى وكان على بعد مترين منا ، وفى نفس الوقت جذبت أيدينا مع الكوب بعنف حتى حافة المنضدة بشكل لو حاولناه من أنفسنا لوقع الكوب على الأرض وتهشم ولكن لدهشتنا لم يسقط الكوب رغم شدة الحركة ، كما وأن الخبطة بلغت من الشدة مبلغا أزعجنا وجميع من كان معنا بالغرفة وقام كل منا وهو يرسم علامة الصليب للطمأنة .

بعدها توجهنا جميعا وأنا فى المقدمة إلى حيث المكتب لنرى ما أولناه إلى سقوط شىء من سقف الحجرة ولكننا لم نجد شيئا . عدنا فأولناه إلى تشقق بالخشب نتيجة عوامل جوية ورغم أن فى جودة الخشب ما يكفى لإبعاد فكرة كهذه ، فقد قمت بفحص جوانب المكتب بكل دقة وأخرجت جميع الأدراج وفحصتها جيدا فلم يكن بها أى أثر .

ونحن وإن كنا لم نتوصل إلى شيء هام إلا أن ظواهر غير عادية كهذه قوت فينا مادة التفكير . ولما أعيتنا الحيل فى تعليل ما حدث وجدنا أنفسنا مدفوعين إلى إرجاعها إلى قوة غير منظورة خارجة عنا ، وكان فى هذا الحادث رغم تفاهته ما دفعنى بشدة إلى البحث وراء هذا السر الدفين .

أعقب هذا الحادث بما يقارب ستة أسابيع ما حفزنى إلى اجتلاء كنه هذه القوة إذ مرض والدى بالكبد وأجريت له ثلاث عمليات ولكن جسم شيخ فى السبعين ، وقد غدا هيكلا عظميا لم يقو على احتمال أكثر من ذلك ، ففارقته الروح بعد أن عانى هيكلها الترابى عذاب المرض شهراً كاملا فازددت بذلك حنينا إلى الاتصال به وما دام غيرى قد جرب ونجح فلِمَ لا أنجح ، وقبل الانتقال إلى وصف كيفية اتصالى بغير المتطور ، وما استلزمت من صبر ومثابرة أذكر بعض حوادث وقعت لى قبل وبعد الانتقال وهى لا تخلو من فائدة .

كان المستشفى حيث أدخل والدى للعلاج بالقاهرة ووجودى بالفيوم كان يستلزم سفرى كلما سنحت الفرص وخصوصا أيام الآحاد .

ففى يوم السبت ٢٩ يناير سنة ١٩٣٨ وبعد خروجى من الحمام جلست على سريرى وأخذت أعزف على العود ما عنّ لى من أغانى وأناشيد ، وعلى حين غرة شعرت بميل شديد إلى عزف أنشودة كنسية تعودنا ترتيلها أيام التلمذة :

لى أكشف يا علام نهايتى وكم هى الأيام فى غربتى
كى ألزم الكمال عالم أنى خيال
جعلت للزوال من نشأتى

وسرعان ما تذكرت الأنشودة رغم مرور السنين الطويلة دون إنشادها ، فشعرت بانسجام مدهش وبلذة لم أعهدها من قبل ، وبموجة كهربائية كانت تقوم فى كيانى وتغمره من وقت لآخر . استرسلت فى تكرارها وترتيلها بكل ما فىّ من حس وشعور على نغمات العود الموسيقية حتى سالت مدامعى وأغمضتا عيناى ، وهنا شعرت بهاتف يطلب منى رفع صلاة خاصة من أجل الوالد الذى هو على وشك أن يفارق الجسد إلى حيث راحة الحياة الخالدة .

لم أجزع لفكرة انتقال الوالد ، بل ركعت حيث كنت ورفعت الصلاة طوعا لهذا الهاتف رغم عدم مرانتى على الصلاة فكانت حارة بدرجة أن نسيت نفسى وكيانى إلى حين ، وشعرت بما لا تستطيع لغة الأرض التعبير عنه .

انتهت الصلاة واستسلمت للكرى لأحلم بوالدى داخل حديقة غناء ولنجد أخاه « يوسف » المنتقل من زمن ، وبعد قليل ودعتهما وخرجت .

استيقظت قبل مطلع الفجر وتذكرت الحلم كاملا ومنه استنتجت أن الفراق قد تم .

وبهذه المناسبة أذكر بعض أحلام أفراد العائلة ليرى القارئ مبلغ توافقها .

فى نفس الليلة حلمت زوجة أخى نجيب « بمنى حدير » أن ساعة الحائط تهشمت بقوة خفية لدرجة يتعذر إصلاحها .

ووالدتى بمصر سمعت وهى فى تمام اليقظة فجر يوم الانتقال صوت هاتف يقول « اسحق مات » ، فقامت منزعجة وهى تقول « اللهم اخزيك يا شيطان » ، فاستيقظت أكبر إخوتى البنات « نرجس » لتروى لها حلمها وكيف أنها رأت أكبر مصابيح المنزل وقد أطفىء فجأة . حاولت إنارته ولكن بدون جدوى .

وكما قلت سابقا لم تزعجنى فكرة الانتقال ، ولم يقلقنى إعلان فراق الوالد ، بل بالعكس رأيت فى ذلك راحة له مما كان يعانيه من آلام بالجسد ، ولولا يقينى المبنى على المعرفة لا الإيمان المجرد ، بأن انتقاله يعنى فراق عالم كله آلام إلى عالم كله راحة لما استطعت أن أرفع صلاة فيها أطلب له سرعة ترك خيمته الأرضية .

فى الصباح ركبت القطار مبكرا شطر القاهرة كعادتى فى صباح كل أحد . تخلفت بالعدوة حيث قد انتقل أخى الأكبر كناظر لها ، وأنا خارج من القطار شاهدت أخى بمكتبه أمام آلة التلغراف — وقد انتهى من تسلم التلغراف وأخذ يجهش فى البكاء والنحيب بصوت مسموع وعندها أدركت حقيقة ما اختبرت فى اليقظة وفى المنام . أخذت فى تهدئته ورافقته إلى المنزل وهو يقع خلف المحطة مباشرة حيث شاركته العائلة من زوجة وأولاد البكاء .

حان موعد أول قطار للقاهرة وقد عزمنا على السفر معا إلى حيث باقى العائلة ، وكان أخى قبل ذلك قد أشار على بالرجوع للفيوم لتغيير ملابسى بما يناسب ما نحن فيه .

فأجبته على الفور بأنه لو كان الجو يسمح بلبس الأبيض للبسته ، ولكن برد ٣٠ يناير القارس لم يكن يسمح بذلك ، وعرفته أن لبس الحداد على المنتقل هو عنوان الجهل بحقيقة ما نسميه « موتا » ، ومن نبكيه ونحزن لفراقه هنا يقابل بالفرح والسرور من الجانب الآخر . بعدها استرسلت فى سرد ما اختبرت وما حلمت ليلا .

وصلنا جميعا القاهرة وقد كنت الوحيد بين أفراد العائلة من وجد من الشجاعة ما يكفى لتعزيتهم فلم أذرف دمعا واحداً ، لا جفاء منى على الوالد ، وقد كان يعزنى وأحبه بل

لنعمة الروحية الفياضة التى غمرتنى ونور الحقيقة الذى أشرق بغته من حولى فكان اليقين التام والإيمان الكامل المبنى على المعرفة بأن والدى لم يمت ولم يتلاش من الوجود بل انتقل إلى عالم أسمى وأرقى فهل أبكى لربح أصابه وهل أحزن لنعمة حلت به !

كلا فالحزن على المنتقل هو نتيجة الجهل بحقيقة الواقع وبأن هناك عالما يحيط بعالمنا بل يخترمه وما نسميه بالموت ما هو إلا درجة فى سلم الارتقاء يعقبه درجات قبل الوصول إلى نور الكمال ، والجهل لعنة الله على الإنسان أما العلم فهو الجناح الذى به نطير نحو السماء .

دخلنا المنزل حيث قابلتنا الوالدة مع أشقائى الأصغر سنا بالبكاء والعويل فازداد تأثرى لدرجة لم أقو على احتمال المنظر فهجمت على والدتى وامسكت بكلتا يديها مانعا إياها من اللطم والصراخ وبعد أن هدأ الجميع تناولت الكتاب المقدس وبدأت بقراءة الاصحاح الخامس عشر من رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ولا سيما الأعداد ٤٢ — ٤٤ حيث يقول : —

« هكذا أيضا قيامة الأموات يُزرع فى فساد ويقام فى عدم فساد يزرع فى هوان ويقام فى مجد يزرع فى ضعف ويقام فى قوة يزرع جسما حيوانيا ويقام جسما روحانيا . يوجد جسم حيوانى ويوجد جسم روحانى .

وهكذا وقفت بينهم مبشراً بحكم الظروف رغم ما أحمله من كراهية لمهنة كلهارياء وإنكار للحقيقة ذلك الأنكار المبنى على الجهل ولكنى كنت مدفوعا بدافع النور الذى يطلب الإشعاع على الحزانى فشرحت على ضوء ما قرأت فى الروحية كيف أن لكل منا كما يعترف بولس الرسول جسمان جسم مادى وجسم روحانى بل إننا أرواح لها أجسام مادية وسوف يأتى الوقت لكل منا ليجتاز ما نسميه بالموت فنترك الغلاف المادى لنقوم فى أجسام أقوى هى الأجسام الروحانية الحقيقية ومتى نقض بيت خيمتنا الأرضى فلنا فى السموات بناء من الله بيت غير مصنوع بيد « ابدى » .

فالقيامة التى يتغنى بها رجال الدين ويؤجلونها إلى يوم غير معروف تعقب ترك الجسم المادى مباشرة فيرجع هذا إلى الأرض التى منها أخذ ونقوم نحن فى أجسام تناسب البيئة الجديدة والتى كانت ملازمة لتلك الأجسام المادية طوال الحياة لذلك لا نفشل وإن كان انساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوما فيوما .

وهنا وجهت الكلام لوالدتى فقلت أبعد هذا يحق لك أن تعملى ما يعد كفراً والحاداً ؟

قالت أنا عارفة أنه حى فى السماء متمتع بالأمجاد السماوية مع الرب يسوع ولكن هى لوعة الفراق .

قلت لها وأين السماء هذه التى تذكرينها ؟

فأشارت بإصبعها إلى أعلا بعد أن رمقتنى بنظرة استغراب وقالت « فوق »

قلت لها إن ماردددته من قول بأنه فى السماء متمتع بالأمجاد السماية مع الرب يسوع لهى كلمات كنسيه تعود من يسمون أنفسهم مسيحيين تعزية أنفسهم بأمثالها من كلمات جوفاء مبنية على مجرد إيمان أعمى بشىء مجهول وبذلك يخدعون انفسهم قبل غيرهم لأنه رغم تقولاتهم قلوبهم مفعمة بالحزن والأسى على فراق أحبابهم لأنهم يجهلون مصيرهم ولا يعرفون أين هم ولكن شكرا لله على نور الروحية ومالها من فضل فى تعريفنا مصير هؤلاء الأحباب وفضلها على البشرية لا ينكره إلا كل أبله مأفون أو مغرض مجنون فالسماء التى تشيرين إليها ليست ببعيدة عنا بل هى حولنا وتخترم عالمنا . هى هـذا الفضاء وما هو بفضاء بل عالم الحياة الحقة زاخر بكائنات حية مثلنا بل أكثر حيوية تدخله حال ترك الجسد .

وحقيقة الواقع أننا الأموات ما زلنا مدفونين فى مقابر الجسد أما هم فقد قاموا من بين الأموات الذين هم نحن فالقيامة تعقب ما نسميه موتاً .

وهكذا إذا ما نظرنا إلى الطبيعة حولنا نراها ملأى بالخدع فقـديما كان الإنسان يعتقد أن الشمس تدور حول الأرض وأن الأرض هى مركز الكون ولكن العلم كشف لنا الحقيقة وإذ بهـا خلاف ما كان مألوفا وكانت الأرض إلى عهد غير بعيد تعتبر مسطحة وأن السماء هى غطاء لها وإذا بالعلم يكشف عن كرويتها .

هذه وغيرها من خدع الطبيعة كشفها لنا العلم على مر الزمن وأصبحنا فى ضوئه نرى أن كل ما هو منظور زائل غير حقيق وكل ما هو غير منظور هو الأزلى الحقيق .

ولعل أكبر خدعة كشفها لنا العلم حتى الآن هى خدعة « الموت » وإذ به باب الحياة الحقة لا طريق الفناء .

وهكذا محا العلم تلك الغشاوة التى تراكمت على أعين البشرية على مر الأجيال واصبحنا فى نور علم الروح الحديث نعرف مصيرنا وإننا كائنات أبدية كابدية الخالق .

استرسلت فى تفسير لغز الموت واستطعت أن الح وجوه الجميع وقد لاحت عليها علامات التعزية الحقيقية المبنية على المعرفة :

حان موعد النوم فآوى كل إلى فراشه فكان من نصيبى أن تمتعت بالحلم الآتى :—

رأيت والدى بملابس بيضاء ناصعة كالثلج ووجه مشرق جميـل يترقرق بماء الصحة الكاملة وقد فتح ذراعيه مرحبا بى ثم ضمنى إلى صدره وطبع قبلة أبوية كلها حنان على جبهتى

ولكن لدهشتي لاحظت علامات الكآبة على وجهه ثم أشار إلى الجهة اليمنى وقال « انظر يا نصيف » تطلعت إلى الجهة المشار إليها ، وإذا بوالدتي وأختي نجيبة بملابسهما السوداء نائمتان على سرير وحال أن لمحتاه حاولتا النهوض لترحيبا به ، ولكن كم كانت دهشتي عندما رأيتهما مربوطتين بسلاسل في أعمدة السرير .

استيقظت من الحلم وأخذت أتأمل فيما رأيت وعندها أدركت صدق الحديث « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » فعرفت ما للحداد ولبس الأسود من تأثير على المنتقل وما تسبب له من آلام نفسانية عندما يرى أهله وذويه ، ومن فارقهم إلى أجل مسمى في حزن ظنا منهم أن سراج حياته قد انطفأ ولم يعد له من وجود بينما هو يقف على الجانب الآخر وقد كشف الحجاب عن الحقيقة الخالدة فظهرت له سافرة . يحاول من جانبه أن يخاطبهم أو حتى يهزهم من أكتافهم أو أيديهم ولكنهم لا يحسون ولا يشعرون « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » أي أن الموتى الأحياء يحاولون ما أمكن التأثير علينا لإشعارنا بوجودهم ، ولكننا لا نحس ولا نشعر ، وهل نحس بموجة الراديو وهي تخترق جسومنا ؟ هل نحس بالإشعاعات الأخرى التي تغمرنا من جميع الجهات ليلا ونهاراً ؟

ولكن أولئك الذين لا يحزنون لا يقيم الحزن حجابا بينهم وبين أحبابهم المنتقلين فيتمتعون بعلاقاتهم إما بالأحلام أو بالرؤى أو بمشاهدتهم عيانا في تمام اليقظة إذا كانوا ممن رزقوا الشفافية الروحية أولئك الذين عيونهم وآذانهم ومشاعرهم أعلى درجة اهتزازاً من العيون والآذان العادية أولئك الذين وهبوا الجلاء في العين وفي الأذن وفي المشاعر .

سردت الحلم لجميع أفراد العائلة موبخا كلا على الأخص لوالدتي وأختي حتى نبذت الأسود بعد أن فكرت في صبغ ملابسها تحاشيا لانتقاد الناس فقلت لها دعك من الناس فقد أصبح من واجبنا الآن أن نحمل مشعل العرفان أمام الجميع لنضيء لمن هم في ظلمة الجهل بما وراء القبر .

هنا قد يتحزلق فئة الماديين من السيكولوجيين وخصوصا مؤيدي نظرية العقل الباطن الواهية الأركان والتي يتخذونها محور ارتكاز لفلسفتهم ، فيقولون إن الرؤى والأحلام ما هي إلا هواجس وعواطف كبت في بحر النهار ثم يعود العقل الباطن فيظهرها ليلا في المنام . فأقول لو فرضنا أن رؤية والدتي وأختي بملابسهما السوداء هي من هواجس العقل المزعوم فكيف نعلل رؤية الوالد بهذا المنظر البهي علما بأن ما هو مخزون في هذا العقل الباطن هي

صورة شيخ فى السبعين حطمه المرض وأفنت جسمه العمليات فأضحى هيكلا عظميا لا يفرقه عن المومياء إلا ما يتردد بين جنباته من أنفاس .

أسمع بعضهم يهمس قائلا إن حالة الصحة التى رأيت فيها والدك هى نتيجة النظريات الجديدة التى قرأتها عن ذلك العالم غير المنظور ، وأن فيه تنعدم الأمراض .

ليكن ما تقولون يا سادة يا كرام وليكن هذا العقل الباطن الذى تلبسونه لباس صانع المعجزات فتلجأون إليه كلما حرتم فى تعليل سر من الأسرار كما يلجأ أمثالكم من رجال الدين إلى الإيمان الأعمى المجرد ، هو الذى حاك هذا الحلم فما تعليلكم لشعورى بانتقال الوالد رغم بعد المسافة بيننا ، وكيف تفسرون ذلك الهاتف الخارج عنى وقد طالبنى بالصلاة لانتقال الوالد وإن كان هناك تفسير ، وما أفسح الخيال لنظرياتكم الخيالية وفلسفتكم الكلامية فكيف تعللون حادث جلسة المنضدة .

هل قفز ذلك العقل الباطن دون وعى منا وأحدث تلك الخبطة فوق المكتب البعيد عنا حبا فى مداعبتنا وما أسمجها من مداعبة مزعجة إذ ما كنا نتوقع طرقا بهذا العنف ؟ ألا ما أغربه من عقل هو وليد الجهل بحقائق الأمور وابن الخيال الباطل أوجده قصر النظر الذى لا يريد أن يتعدى عالم المادة .

لقد كنت أشد الناس تمسكا بهذا العقل الموهوم وليصدقنى جماعة السيكولوجيين قولا أنه لو كانت قد أعطيت لى رسالة ما ولو فاقت فى بلاغتها وصدقها كل ما يتصوره العقل لكنت أول من يتمسح بهذا العقل وكأنى بتلك القوة العاقلة غير المنظورة وقد أرادت أن تقطع على طريق الرجوع إلى هذا العقل المزعوم فأحدثت ظاهرة مادية لا دخل فيها بعقل باطن أو واعى من جانبنا .

فالعقل الباطن يا سادة هو ما يسميه علم الروح الحديث بالنفس ويذهب البعض إلى تسميته بالجسم الكوكبى أو الجسم الأثيرى وسواء سميناه بهذا الاسم أو ذاك فلا يغير من جوهر الشىء فهذا الجسم مماثل كل المماثلة للجسم المادى حتى فى أدق خلاياه وإن كان من مادة أرق والطف من زميله الفيزيقى .

فجماعة الروحانيين أحق فى دعواهم واسنادهم إلى الروح (النفس والعقل) ما كان قبلا يسند لهذا العقل الباطن الذى لا وجود له ، وبدعواهم هذه يقربون العلم والدين بينما أنتم بنظرتكم المادية وباحتمائكم وراء هذا العقل تملصا من كل ما يمت إلى الدين بصلة ، تضربون أقوى الأمثلة على مناقضة علمكم بنفسكم فالسيكولوجيا تعنى علم النفس بينما أنتم تحاولون

إنكار هذه النفس وتتقيدون بدراسة ميكانيكا العقل وعمله ويحق لكم أن تطلقوا على علمكم كما يقول الدكتور ولز ، كلمة منتولوچيا "Mentolology" أى علم العقل وليس Psycholog علم النفس .

وجماعة الروحانيين إذا ما طالبوكم بتصوير هذا العقل الباطن أو تحديد مكانه فى الإنسان أسقط فى يدكم محاولين التخلص بافتراضات لا صحة لها .

فالأجدر بكم أمام ما ألقاه علم الروح الحديث من ضوء أن تتركوا العقل الباطن لحاله تمثلا بأئمة علمكم كمجدوجل ويونج وفرويد نفسه الذين أنكروا وجوده انكارا تاما .

وإنى أناشدكم باسم الإنسانية يادعاة العقل الباطن أن تودعوا هذا العقل وتتخلوا عما لا وجود له وأن تهبطوا من سماء الخيال والنظريات إلى عالم الحقيقة فبدل التأملات النظرية والافتراضات الظنية أمامكم علم الروح الحديث يقدم لكم أبحاثا عملية مجدية لكم وللإنسانية .

الفصل الثانى

« طوبى للحزانى لأنهم يتعزون »

فى صباح اليوم التالى قمنا بما يلزم لنقل الجثة إلى « عزبة بهنس » ، « بنى حدير » حيث كان يعمل والدى قبل أن يحل أخى نجيب مكانه ، وهنـاك على الضفة الأخرى من النيل كنيسة أثرية للقديس الأنبا انطونيوس حيث طلب والدى دفن جثمانه فى جبل مجاور .

عند وصول العائلة هناك أقبل فلاحو العزبة للتعزية ، وبينما أنا جالس فى الطابق الأرضى أتناول والقوم الحديث عن الموت وكنهه سمعت فجأة صراخا وعويلا وصوت إحدى الفلاحات تندب وتعدد المناقب .

تركت من كنت معهم وقفزت بشكل جنونى على السلم إلى حيث وقع نظرى على تلك المرأة وكدت أهجم عليها لأخمد أنفاسها ، ولـكنى ضبطت نفسى ما أمكن واكتفيت بتهديدها بالطرد من البيت إذا هى عادت إلى عمل كهذا .

وبعدها التفت إلى زوجة أخى ناشد وهى فوق كونها متعلمة تمثل المسيحيات التقيات المتمسكات بعقائد الـكنيسة وفرائضها وقلت لها :

« حتى أنت يا مَنْ كنت أنتظر منها القيام بتهدئة الخواطر تشاركينهن البكاء ، بل وتسمحين لامرأة كهذه بأن تهوى بكن إلى هذا الدرك من الـكفر والإلحاد ! أين مسيحيتك التى كثيرا ما تتباهين بها ؟ أين الـكنيسة وما تفتخرين به من تعاليمها ؟ هنا المحك لتدينك وما تتمسكين به من عقائد دينية وتعاليم كنسية ، ولـكن للأسف لقد فشلت مسيحيتك وباءت بالخيبة تعاليم كنيستك أمام هبوب العاصفة . ما فائدة تدينك إذا كان هذا التدين لا يمدك بالقوة فى حينها ، وما فائدة تعاليم الـكنيسة إذا كانت لا تعينك على الوقوف أمام صدمات الحياة وما أكثرها وبخاصة أمام صدمة الموت وهى أكبرها وأعظمها !

إن جميع الأديان قديمها وحديثها تبشر بالحياة بعد الموت ، ولـكن العيب ليس فى الأديان بل فيمن خصصوا أنفسهم لخدمة هذه الأديان ، وما يلقنونه لأمثالك من تعاليم غامضة عن تلك الحياة وليس لديهم من برهان إلا الإيمان ، وما أعجزه من برهان ، بل هو برهان العجزة فهم مثلك لا يستطيعون أن يقدموا للعالم ما يبرهن على الحياة بعد الموت سوى عقيدة الإيمان

الأعمى فهم فقراء من هذه الناحية ، وهل يعطى الفقير الجائع خبزه إلى الجائع الفقير ، وهل يصف عليل دواء لعليل آخر وهو أحرى بالدواء ؟

وهكذا استطعت إطفاء جذوة نار كادت تشتعل تحت تأثير امرأة مستعبدة لعادات وثنية قديمة ما زالت وللأسف الشديد توجد بين بعض الطبقات من شعبنا المصرى .

فى المساء وصلت الجثة ، وما أن شعر أخوتى بالسيارة تقترب حتى بدأوا فى البكاء من جديد فبدأت من جديد بإزالة الاعتقاد الراسخ فى أذهانهم بأن والدهم هو هذا الجسد الهامد والجثة التى شوهها الطب والأطباء ، وأخذت فى تفهيمهم كيف إن علاقة هذا الجسم بوالدهم كعلاقة الملابس بلابسها فخلع الملابس لا يغير من شخصية صاحبها ، كما أن خلع الكساء المادى عند حالة التغير التى ندعوها موتا لا تمس الشخصية التى تحتفظ بها إلى ما بعد القبر ، وكل ما هنالك أننا نترك هذا الجسد المادى ، وقد أصبح عديم الفائدة ليتحلل راجعا إلى أمه الأرض التى منها أخذ ، ونرجع نحن إلى موطننا الأصلى ومسكننا الأبدى الذى منه أتينا وإليه نعود بعد سفرة قصيرة فى عالم المادة . وكما أننا لا نهتم بالملابس البالية بعد تركها ولا يهمنا سواء مزقت أو أحرقت كذلك الحال مع هذا الجسد بعد تركه لا يضرنا سواء مزق أو أحرق ، إذ أنه أصبح عديم الفائدة وحتى إذا لم تعتره أحد هذه العوامل فسوف لا ترحمه الطبيعة من تحليله وإرجاعه إلى عناصره الأولية ليدخل فى بناء أجساد جديدة . بهذه الكلمات وغيرها استطعت إفهامهم تفاهة الجسد المادى .

فى صباح اليوم التالى تعاون الفلاحون على حمل النعش إلى حيث ووريت الجثة التراب بعد أن قام رجال الدين بأداء واجبات الصلاة المعتاد إجراؤها فى مثل هذه المناسبات .

وحدث أثناء إنزال النعش داخل القبر المنحوت فى قلب الصخر ، أن قام أخى نجيب بمعاونة الفلاحين على إنزاله . بعدها خرجوا جميعاً ما عداه . تخلف وأخذ يلتصق بالكفن وهو يبكى وينتحب بصوت مرتفع سمعه كل من كان خارج القبر ، وهنا التفت إلىّ ابن عمى وطلب منى دعوته إلى الخارج فانحنيت فوق مدخل القبر وصحت به قائلا :

« إذا كان لوالدك هذا المقدار من الحب بقلبك ظنا منك أنه هذه الجثة التى بعد قليل ترجع للتراب وهو منه أخذت فأحرى بك أن تبقى بجوارها ولا تتركها » .

وهنا كفكف دمعه وخرج خارجا فوقفت بين الجمع المحتشد وكان خليطا من المسلمين والمسيحيين ووسط سكون الطبيعة ووحشة المقابر وقلت :

فى قديم الزمان سأل أيوب الصديق سؤالا تردد صداه على مر الأجيال وجاشت به الصدور منذ بدأ الإنسان يفكر « إن مات رجل أفيحيا ؟ » .

تنص جميع الأديان على خلود الروح منفصلا عن الجسد فديانة قدماء المصريين تدور حول بقاء الروح ومعيشتها فى عالم آخر وبحث كهنتها فى الروحيات وما وراء القبر وآمنوا بوجود الروح وخلودها فكانوا يطلقون عليها اسم « كا » أو القرين « وكتاب الموتى » الذى خلفوه ليعد أثراً ناطقا بقوة إيمانهم بالخلود وسمو آدابهم ثم جاءت الديانة اليهودية فقالت ببقاء الروح وعذابها أو نعيمها فى العالم الآخر وإمكانية الاتصال بأرواح من سبقونا إلى عالم البقاء فى سفر صموئيل الأول نقرأ عن الملك شاول وكيف تنكر ، وذهب مع رجلين إلى وسيطة استحضرت له روح صموئيل فلما رأته المرأة صرخت وقالت لشاول « لماذا خدعتنى وأنت شاول » فقال لها لا تخافى فماذا رأيت . فقالت رأيت إلها يصعد من الأرض فقال لها وما صورته قالت شيخ صاعد مغطى بجبة فعلم شاول أنه صموئيل وخر على وجهه ساجداً فقال صموئيل لشاول لماذا اقلقتنى باصعادك إياى فقال قد ضاق بى الأمر جداً ، الفلسطينيون يحاربونى والرب فارقنى ولم يعد يجيبنى لا بالأنبياء ولا بالأحلام فدعوتك لكى تعلمنى ماذا أصنع —

فقال صموئيل ولماذا تسألنى والرب قد فارقك وصار عدوك « غدا أنت وبنوك تكونون معى » :

وفى الإصحاح الحادى والثلاثين نقرأ كيف تحققت هذه النبوة إذ مات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله فى ذلك اليوم .

فى هذا الحادث نرى كيف اتصل الملك شاول بروح صموئيل عن طريق امرأة « عين دور » وقد كشف عن بصرها وسمعها وكانت دون غيرها لها هبة رؤية غير المنظور وسماع غير المسموع فمن وصفها عرف الملك شخصية صموئيل وبسماعها كلام الروح عرفت أن زائرها هو الملك شاول ورغم ذلك نراها أمينة لوساطتها فبلغت الملك ما سمعته من الروح حرفا بحرف رغم ما فى الرسالة من تهديد بالموت ولمن ؟ لملك له السلطة على قتلها أو إبقائها .

« غداً أنت وبنوك تكونون معى » أين كان صموئيل ؟ فى عالم غير منظور يحيط بهذا العالم الذى فيه نعيش وعن طريق أناس يسمون بالوسطاء وهم هم بعينهم من كانوا يطلق عليهم قديماً الأنبياء أقول عن طريق هؤلاء الوسطاء وما حبتهم به الطبيعة من خاصيات يمتازون بها عن غيرهم نستطيع ونحن فى عالم المادة أن نتصل بأحبابنا ممن سبقونا إلى عالم الأرواح فصموئيل النبى لم يكن مدفوناً فى القبر لاحراك به وكما تعتقد الأغلبية الساحقة من الجهلة وبلهاء المتدينين بل كان حيا فى عالم أرق وأرقى من عالمنا وفى تعيينه زمن موت شاول

بالقول «غدا أنت وبنوك تكونون معى» ترى أنه ليس هناك رقود فى القبور على رجاء القيامة كما يبشر البعض بل أن الموت هو باب لحياة حقة ، وعقب ترك الجسد المادى نقوم فى عالم أبهى وأزهى .

وفى هذا عظة لأمثال أخى نجيب وما أتاه من بكاء بجوار جثة والده ، فهو بعمله هذا يعطينا مثالاً حيا لاعتقاد الأغلبية ذلك الاعتقاد المبنى على الجهل ، وهو أننا لا نزيد عن كوننا أجساداً مادية ، وعلى هذا نبقى راقدين فى بطن الأرض حتى يوم مجهول سموه بيوم القيامة ، ولكنى لا ألومه ولا تعتبروه تحديا منى إذا قلت إن الغلطة هى غلطة رجال الدين لأنه بأمثال هذه التعاليم المضللة يسممون عقول الشعب ويقومون حجر عثرة أمام الناس .

هذا ما جاءت به الديانة اليهودية وقد أعقبتها المسيحية التى جاءت تحث على الإيمان بخلود الروح وبجمال العالم الروحانى وبإنكار الجسد ، وبأن محبة العالم عداوة لله لأن بعد هذه الحياة الأرضية حياة روحانية يعيش فيها البشر كأبناء الله . ثم جاءت الديانة الإسلامية مبشرة أيضا بخلود الروح وبالعقاب أو الثواب الذى ستناله الروح فى العالم الآخر . وجاء فى القرآن الكريم « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . أى لا تظنن الذين قتلوا وهم يجاهدون فى سبيل الحق أمواتا تلاشوا بتلاشى أجسادهم ، بل هم أحياء قريبون من ربهم فى جنته يرزقون فرحين بما منحهم الله من فضله وإحسانه ، ويستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة ، وحالة من تركوهم خلفهم فى الحياة الدنيا ، إنهم إذا ماتوا أو قتلوا كانوا أحياء لا يكدرهم خوف وقوع بلية ولا حزن فوات محبوب .

هذا ما جاءت به الأديان ، واليوم يتحرك العالم بأثره نحو ذلك الإيمان القديم كتقدم العالم فعاد منذ عهد غير بعيد مذهب الخلود الروحى المبنى لا على مجرد الإيمان بل على القواعد العلمية الثابتة التى تشبع عقلية العصر الحديث .

وقد أتى هذا الاكتشاف الحديث لذلك العالم غير المنظور عن طريق حادث بسيط قاد إلى كشف عظيم ، وألم يكن فى سقوط تفاحة ما أدى إلى اكتشاف قانون الجاذبية الذى غير مجرى العلم ، وألم تؤدى غلاية استفنسن إلى اختراع القاطرة !

فقد حدث يوم ٢٥ مارس سنة ١٨٤٨ أنه كان رجل يدعى (فيكمان) يسكن قرية (هيدسفيل) من مقاطعة نيويورك بأمريكا فسمع ذات ليلة طرقات متعددة على أرض بيته .

حاول اكتشاف الفاعل فلم يهتد ، وذات ليلة قام مذعوراً على صراخ ابنته الصغيرة . سألها عما ألم بها فزعمت أنها أحست بيد مرت على جبينها وهى فى سريرها . أخيرا هجر المنزل وخلفه فيه رجل متنور يدعى جون فوكس فحصل لأهله ما حصل لسلفهم من الأصوات التى لا تجعل للنوم مساغاً إلى الجفون فكانت مدام فوكس تنادى جيرانها لتستعين بهم فى البحث عن الفاعل فأعيتهم الحيل . أخيراً تجاسرت ذات ليلة وكان ذلك فى ٣١ من نفس الشهر

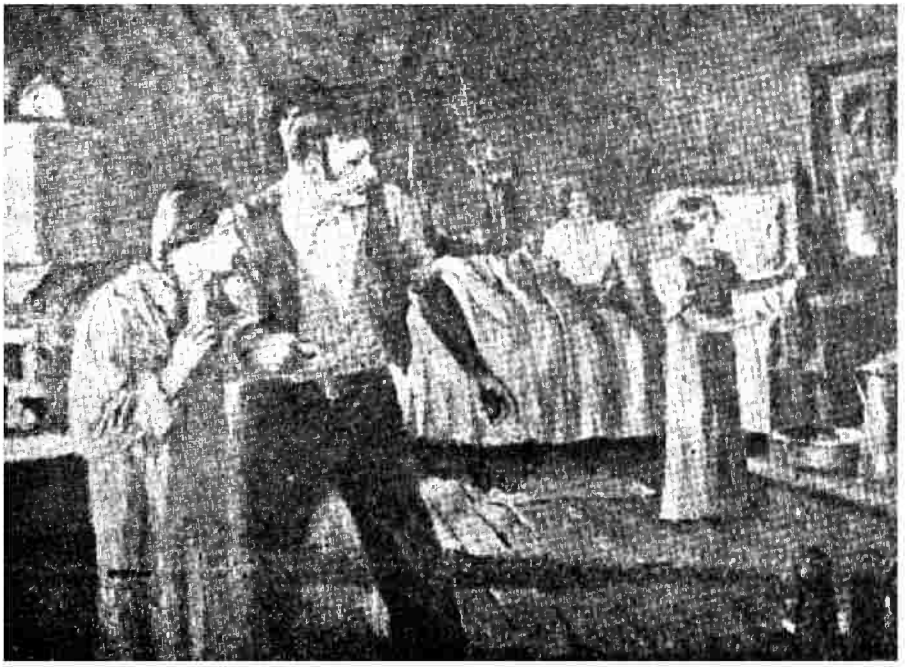

منزل عائلة فوكس بهيدسفيل وهو مهد الروحية الحديثة

وهو تاريخ مولد الروحية الحديثة وقالت للطارق . أحدث عشر طرقات ففعل . سألته عمر ابنتها كاترينه فطرق طرقات على قدر عدد سنى عمرها ، وأخيرا قالت له : إن كنت روحاً فاحدث طرقتين أيضا ، فأحدثهما وبهذه الطريقة استطاعت بواسطة الطرق أن تعرف أنه روح رجل كان يسكن البيت من زمن وقتله جاره ليسرق ماله ، ودفنه فيه .

دعت مدام فوكس جيرانها ، وبعد أن قصت الحادث عادت وكررت الأسئلة على مسمع من الجميع فجاءت الأجوبة بما أدهشهم لانطباقها على ما سبق . أخبروا الحكومة بالحادث وهى قد اتخذت إجراآتها القانونية حتى قبضت على الجانى واعترف بجريمته .

شاع أمر هذا الحادث فى كل أصقاع أمريكا وكثر ظهور مثله فى كل جهة بل قل إن العيون تفتحت لما كان يحدث فى كل حين دون أن يعار أى اهتمام .

أخذت الروحية من ذلك الحين فى الانتشار كانتشار النار فى الهشيم حتى وصلت إلى

ما هى عليه الآن ولها ملايين من المعضدين بعد أن طعنت مذهب الماديين طعنة لا برء منها .

وهكذا بعد أجيال عديدة توصل البشر إلى الإجابة على سؤال أيوب الصديق ونستطيع أن نقول لا بالإيمان بل بالبرهان الملموس والبينة العلمية القنعة أن الإنسان بعد موت الجسد يحيا فى عالم آخر غير عالمنا المادى « وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ، وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » .

فحياتنا الحاضرة فى تقلباتها وعدم ثباتها ودوامها تجعلنا كسجين مكبل بالأغلال والسلاسل غاطس فى أحلامه .

وأما تلك الحياة فحياة يقظة تامة وانطلاق ومعرفة ، فلذلك ورد فى الحديث « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » .

وهكذا نرى أن الله لما خلق هذا الوجود شاء أن لا يقصر بقاء الإنسان على هذه الحياة المنظورة التى قدر لها الزوال والفناء ، بل رسم له عدة وجوه أخرى للحياة ، ومنحه حرية اختيار المصير الذى يرتضيه .

إذن فليهلل البشر ولتهتف البشرية فرحا لأن بشارة الروحية قد أبطلت الموت وأنارت لنا الحياة والخلود ، وطوبى للحزانى لأنهم يتعزون .

الفصل الثالث

واجب الكفاح ضد التقاليد

فى اليوم الثالث جاء قسيس الكنيسة الذى سبق وقام بالصلاة ، ليقوم بإجراء صلوات خاصة لصرف الروح جريا على طقوس كنيسته ، التى توارثتها عن ديانة قدماء المصريين .

فكان الكهنة أيام الفراعنة يرفعون الصلوات ويتمتمون كلمات خاصة على زعم أنها تساعد الساهو Sāhū (الجسم الأثيرى) على الانفصال من زميله الخات (Khat) (الجسم المادى) .

وهكذا نجد هذه الطقوس مازالت تمارس بكنائس اليوم وإن كان بعض المفسرين قد ذهبوا إلى أن المقصود بصرف الروح هو صرف روح الحزن لا روح الميت ، وهى على كل فكرة شر بكثير من الأولى بل هى محاولة قلب الحقيقة وإخراجها من دائرة الروح إلى دائرة الرمز الميت .

فالفكرة الأولى ، أى صرف روح الميت ، هى أقرب للحقيقة وإن كانت الروح ليست فى حاجة لمن يصرفها ، وليس لأحد من سلطان عليها سوى سلطان المحبة الذى هو أقوى من الموت فيجعلها ملازمة لأحبابها حائمة حول أهلها وذويها .

بعد ذلك حل موعد أول عيد عقب انتقال والدى فجاءنى أخى نجيب يطلب إلىّ المساهمة فى تجهيز « الطلمة » حسب العوائد المتبعة قائلا أنه فى مثل هذه المواسم يقدم شىء للكنيسة ليقوم رجال الدين بعمل قداس صلاة لأجل الوالد ترحما عليه ، وإطعام الفقراء الذين يحضرون المقابر فى مثل هذه المناسبات .

فقلت له « من جهة إطعام الفقراء فأنا على تمام الاستعداد لأعطى ما تطلب ولكن مليما واحدا لا أدفعه لهيئة تعمل على إحياء عادات وطقوس ، ليس وراءها إلا طمس كل ما هو روحى حتى أصبح الناس يعبدون الرمز تاركين الجوهر ، ثم من الجهة الأخرى كن على يقين أنه لا ينفع المنتقل إلا ما قدمته يداه من عمل صالح على الأرض .

فتعازيم الكاهن لا تكفر عن ذنوبك إن كنت خاطئا ، ولا تسرع بك إلى الجنة إن

كنت بارا . لأن إرادة البشر لا تغير مشيئة الله ، كما أن المنجمين لا يحولون مسير النجوم فكل نفس بما كسبت رهينة » .

ولكن لقد تعود الناس من قديم الزمان على القيام بمثل هذه الواجبات من زيارة المقابر والترحم على الموتى !

دعك يا أخى من الناس فقيامهم بما تسميه واجبات لا يعنى ضرورتها ، بل إن تأديتهم لها جرى على عادة توارثوها لهى وليدة الجهل بما وراء القبر ، ولو عرفوا الحقيقة لوقفوا على تفاهة ما تعودوا عمله .

ولعل أنسب نصيحة أستطيع تقديمها لك هى أن تسير فى الحياة بأقدامك لا بأقدام غيرك كن مستقلا فى كل شىء ، وتحرر من كل عقيدة فاسدة فخير لك أن تعيش طوال حياتك جاحداً منكراً لا تؤمن بالله ولا تعتقد شيئاً من أن تكون منافقاً تتنفس بأنفاس غيرك أو تعيش بعقيدة زائفة صارت اليك باللقاح أو التقليد الأعمى .

كلمتك كثيراً عن الموت وما هيته شارحاً لك ما استطعت أن والدك ليس هو الجثة التى بكيتها بالقبر والتى كانت له كآلة استطاع بها أن يظهر نفسه فى عالمنا ولما لم تعد تفيده شيئاً تركها ليقوم فى عالم غير منظور لنا ولا نراه ويسمعنا ولا نسمعه ورغم معرفتك كل هذا تأتى لتطالبنى بزيارة المقابر وكأنى بك ما برحت تعتقد بأن والدك ما زال هناك .

ففيما تعرضه علىّ من المساهمة فى القيام بما جرى على اتباعه البشر منذ فجر التاريخ نرى ما للجهل بحقيقة الموت من سلطان على النفوس وما بهذه النفوس من غريزة اعتقادية فى بقاء الحياة بعد الموت دفعت بأصحابها على الترحم على موتاهم .

ولكننا أصبحنا فى عصر أثبت فيه العلم على بقاء الشخصية بعد موت الجسد وقدم لنا البراهين الدامغة على ذلك وفتح لنا باب البحث وأنار لنا الطريق فأصبح فى متناولنا أن نبرهن على صدق هذه الحقيقة فى منازلنا .

أمام هذا يحق لنا أن نشق عصا الطاعة على كل تقليد حيك حول الموت نتيجة الجهل به فى الماضى متبعين قول لوثر .

« إن السجين المظلوم الذى يستطيع أن يهدم جدران سجنه ولا يفعل يكون جباناً . إن من يخمد نار نفسه بيده يكون كافراً بالسماء التى أوقدتها ومن يصبر على الضيم ولا يتمرد على الظلم يكون حليف الباطل على الحق وشريك السفاحين بقتل الأبرياء » .

نحن فى عصر تكافح فيه الأفراد لتنجو من أعباء التعصب الدينى والجنسى والتمسك بالكثير من العقائد التى وضعها بعض الأقدمين مسوقين إليها بالأنانية والجشع أو لظروف لم يعد لها وجود فى الوقت الحاضر .

ونحن إذا اندفعنا نسير بقوة فى سبيل الرقى والتحرر ، فلن يفوتنا أن نطلع الجهلاء ودعاة العتيق على مزايا خطتنا وأن ندعوهم إلى السير معنا فمن آمن فقد نفع نفسه وغيره ومن أصر فله الإهمال حتى ينقرض هو وأمثاله .

قبل اختتام هذا الفصل ألفت نظر القارئ إلى ما للترحم على الموتى من برهان على الخلود إذ أن الوجدان الداخلى فى جميع الشعوب عامة والوجدان الطبيعى فى البشر بوجه عام يقر به فأهرام الأمس تشهد بأن وجدان البشر يحدثهم بالخلود ومناجاة الأرواح اليوم ينطق بحقيقة الخلود وبأن الموت ليس آخر كل شىء وأن النفس لا تزال حية ، شاعرة ، نشطة ، بعد أغلال الجسد بأكثر مما كانت وهى مغلولة بأغلاله .

والتاريخ يحدثنا عن كثيرين شعروا بهذه الحقيقة فى حياتهم وتأكدوها على فراش الموت قبيل انتقالهم .

وعلى سبيل المثال نذكر ما نقل عن حجة الإسلام أبى حامد الغزالى « المتوفى » سنة ٥٠٥ هجرية وكيف أنه قال لبعض أصحابه ائتنى بثوب جديد فإنى أريد أن أدخل على الملك فأتى له بثوب فأخذه منه وطلع إلى بيته فأبطأ ولم ينزل فدخل إليه صاحبه ومعه ثلاثة أشخاص فوجدوه قد قبض وعند رأسه هذه الأبيات :

قل لأخوانى رأونى ميتاً ... فبكونى ورثوا لى حزنا
أتظنون بأنى ميتكم ... ليس ذاك الميت والله أنا ! !
أنا فى الصور وهذا جسدى ... كان بيتى وقميصى زمنا
أنا كنز وحجابى طلسم ... من تراب كان ضيقاً وعنا
أنا در قد حواه صدف ... لامتحانى فنفيت المحنا
أنا عصفور وهذا قفصى ... طرت عنه وبقى صورتهنا
أحمد الله الذى خلصنى ... وبنى لى فى المعالى مسكنا
كنت قبل اليوم ميتا بينكم ... فحييت وخلعت الكفنا
فاهدموا بيتى ورضوا قفصى ... وذروا الطلسم يعلوه الفنا

قـــد ترحلت وخلفتـكم لست أرضى داركم لى وطنا
لا تظنوا الموت موتا إنه لحياة وهو غايات المنـا ! !
حى ذى الدار نؤوم مغرق فإذا مات أطار الوثنا
لا ترعـكم هجمة الموت فمـا هو إلا نقـلة من ها هنا
وخـذوا فى الزاد جهداً لا تنوا ليس بالعاقل منا من ونا
ما أرى نفسى إلا أنتم واعتقادى أنـكم أنتم أنا ! !
عنصر الأنفس منا واحـد وكذا الجسم جميعا عمنا

الفصل الرابع

وجوب اتحاد الأرواح

بعد الانتهاء من واجبات دفن الجثة رجعت إلى مقر عملى بالفيوم حيث قمت بإلقاء بعض المحاضرات بجمعية أصدقاء الكتاب المقدس بعدها صممت على إيقاف الكلام النظرى حتى الوصول إلى نتيجة عملية .

ولكن عند نزولى إلى ميدان العمل الجد اعترضتنى مصاعب وكان أكبرها العثور على وسيط وهو بيت القصيد فى البحث الروحى .

قرأت إعلانا بإحدى الجرائد السيارة عن ترجمة « على حافة العالم الأثيرى » للأستاذ أحمد فهمى أبو الخير وللحال اتصلت به عله يرشدنى عن كيفية العثور على الوسيط المنشود فوصلنى الرد يشكو نفس المعضلة (خطاب ١٦ / ٩ / ١٩٣٨) .

بعدها وصلنى منه خطاب آخر فى ١٦ / ١ / ١٩٣٩ يفيدنى بأنه عثر على وسيط وفى الخطاب يدعونى لحضور جلسة فانتهزت أول فرصة لتلبية الدعوة وتوجهت بصحبة ابن عمى إلى منزله بالروضة حيث استقبلنا ببشاشته المعهودة وقادنا إلى غرفة صغيره بالطابق الأرضى مدهونة جدرانها بالطلاء الأحمر .

بعد أن حضر جميع المدعوين من بينهم شخصيات لها مكانتها من الوجهة العلمية والثقافية أعلن بدأ الجلسة فجلسنا فى دائرة كل يمسك يد جاره وبالسؤال عن الوسيط أشاروا إلى شاب طويل القامة جلس فى صدر الغرفة يدعى يس .

قام المسلمون بتلاوة الفاتحة والمسيحيون بالصلاة الربانية اطفئت بعدها الأنوار وأصبحنا فى ظلام دامس وقام الأستاذ بإدارة بعض اسطوانات موسيقية .

بعد ذلك بقليل سمعنا شبه تنفس عميق صادرا من ناحية الوسيط أعقبه شهقات متقطعة ثم صمت تام قطعه صوت من يقول « السلام عليكم » وبصوت واحد رددنا جميعاً التحية .

بعدها أضيء نور أحمر خافت مكننا من رؤية ماحل بالوسيط أيدى منفردة الأصابع وقد ارتفعت إلى أعلا فى حالة تيبس ، جسم متصلب كقطعة من الخشب ، أعين مغمضة ووجه متقلص

العضلات رفعه اثنان واحد من الرأس والآخر من القدمين ووضعاه على فراش بالأرض وقد التف بعض الحاضرين حول الجسم الممدود كل يحاول الوقوف بنفسه على هذه الحالة الغريبة فبينما الواحد يحاول رفع حاجب العين المغلقة إذ بآخر يجس النبض وآخر يحاول ادخال دبوس بجلد الوسيط الذى تمدد فى حالة تخشب تام .

بعدها وفى وسط ما أثارته هذه الحالة من لغط وضجة بين المجتمعين تكلم هذا النائم طالبا النظـام والهدوء وفتح باب المناقشة وسرعان ما انهالت الأسئلة ورغم تنوعها كانت الأجوبة تأتى بما يلائم كل منها وبما فيه الإقناع للسائل وبشكل لم يدع مجالا للشك بأنه لابد من وجود عقلية وراء هذا الوسيط كما يقول جماعة الروحيين .

حان موعد انصراف الروح فحيانا مودعا وعندئذ بدأ ذلك الجسم المتخشب فى الاسترخاء تدريجيا وأخذ التصلب يتلاشى رويدا رويدا حتى عاد الوسيط إلى حالته الطبيعية واسترجع وعيه وجلس يفرك عينيه .

ولـكن ما حدث بعـد ذلك زاد من دهشتنا جميعا إذ ما كاد الوسيط ينتهى من فرك عينيه حتى بدأ يصيح صيحات الفزع محاولا الاختباء بين الحاضرين وبالسؤال قيل لنا أن للوسيط هبة أخرى خلاف هبة الغيبة تسمى بالجلاء البصرى أو القدرة على رؤية غير المنظور وهى خاصية يمتاز بها الوسيط الروحانى عن غيره من البشر ولهـذا اختير من عالم الروح ليـكون وسيطا بين العالمين .

فبعد كل جلسة يحاول الروح بقامته الطويلة وطلعته المهيبة الظهور له ولـكن لجهله يخاف منه ومراراً حاولوا تفهيمه بأن جماعـة الأرواح بشر مثلنا لا ينبغى لنا أن نهابهم بل أن نرحب بهم ولـكن بدون جدوى وعقلية جاهل أمى مثله تسمى الأرواح بالأسياد كما هو الشاع بين العامة لا تستطيع قبول تعليلات كهذه .

وهنا سألنـا بدافع حب الاستطلاع عن شخصية الروح المهيمن فقيل لنا أنه يدعى « هوايت هوك White Hawk » يظهر فى أوساط أوربا ودوائرها الروحيـة وللتثبت أحضروا له عدد ٣٠٩ من مجلة الأخبار الروحية « Psychic News » وهى مجلة روحيـة تصدر أسبوعيا بلندن وللحال أشار إلى أحد خمسـة أرواح موجودة صورهم بصدر المجلة وقد أخذت هذه الصور بواسطة جهاز خاص لتصوير الأرواح .

شكرت الأستاذ من أعماق قلبى إذ تعطف على بما القى نوراً على الجانب العملى لموضوع أصبح لى الشغل الشاغل وودعته داعياً له بالتوفيق فى تبليغ رسالة الروحية لبلادنا التى وإن

كانت قديما منبعا للديانة من أقدم أديان العالم تعمق كهنتها فى دراسة الروحيات إلا أننا وللأسف أصبحنا فى عصر ينظر فيه الكل من يبحث فى هـذا الباب كمشعوذ دجال وأنا لا ألومهم فى ذلك لأن بلادنا كغيرها من بلاد الأرض ملأى بالمشعوذين والدجالين الذين أساؤوا إلى الروحية التى قصد بها أنارة الأذهان للعالم الثانى لا ابتزاز الأموال وأنى اتطلع بشوق إلى ذلك اليوم السعيد الذى فيه تتألف هيئـة من علمائنا عصر لدراسة الظواهر الروحية وتؤسس معاهد علمية للبحث الروحى على غرار أمثالها بالأقطار الأوربية وعندئذ تتخلص الروحية من أدران المدلسين وتطهر أفـكار العامة مما هو لاصق بها إذ أن قاموس الروحية عندهم لا يحوى إلا الجن والعفاريت والأسياد ومن يقومون بتحضيرهم من المشايخ .

خرجت أنا وابن عمى وسرنا ميممين شطر المنزل وكل يفكر فيما رأى ويتأمل فيما شاهد إلى أن قطع ابن عمى صمتنا قائلا لم لا يكون هذا ايحاءاً ذاتيا لا أكثر ولا أقل وهناك حالات فى التنويم المغناطيسى تشبه كل الشبه ما رأينا !

وما رأيك فى الإجابة العلمية رغم جهل الوسيط ؟

هذا أمر فى استطاعة العقل الباطن أن يقوم به .

وكيف تعلل صراخ الوسيط عند رؤية الروح ؟

صمت قليلا باحثا عن حل لهذا الأشكال ثم قال ولم لا تقول أنه تظاهر مدعيا رؤية شخصية لا وجود لهـا ليوهم الحاضرين أنه وسيط روحانى كما يقولون بينما لا روح هناك ولا يحزنون .

يلوح لى أنك من المنـكرين وجود الروح وحيث أن النفى فى كل شىء أيسر من الإثبات وبما أنك من المحافظين على شعائر دينهم أطلب منك رأيك فى الأنسان ومآله بعد الموت .

أنا لست من منكرى وجود الروح وخلودها بعد الموت غير أنى لا أقر بامكانية الاتصال والتخاطب مع الأرواح وأن كان ذلك ممكنا كما يدعى جماعة الروحيين فالـكتاب المقدس يحرم مثل هذا الاتصال كما جاء فى تث ١٨ : ١٠ ، ١١ إذ يقول :

« لا يُـوجَد فيك من يجيز إبنه أو إبنته فى النار ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رُقية ولا من يسأل جانّاً أو تابعة ولا من يستشير الموتى لأن كل مَـن يفعل ذلك مكروه عند الرب . »

على العموم أن اعـترافك بوجود الروح قـد سهل علينا نصف الطريق . أما من جهة

ما ذكرت من تحذيرات كتابية فلم يقصد بها أن تطبق على أهل القرن العشرين بدليل أن هناك تحذيرات أخرى فى غاية السخف كقتل كل من سب أباه أوأمه وكلقول لا تحملوا قرعة فى رؤوسكم ولا تحلقوا عوارض لحاكم . فأين مثل هذه التحذيرات من رجال الدين أنفسهم .

هذا وبالرجوع إلى ما ذكرت كاعتراض على مناجاة الأرواح نقول إن جماعة الروحيين لا يجيزون أبناءهم فى النار ولا يسألون الجان والتوابع ولا إلى غير ذلك أما إذا اعتبرت أن من يستشير الموتى مكروها عند الرب فيكون الناصرى أول من ينطبق عليهم هذا القول فقد استشار الموتى فى مسألة صلبه عند ما عقد تلك الجلسة التاريخية فوق الجبل وإذ بموسى بعد ١٤٨٢ عاماً فى عالم الروح يتجسد بصحبه إيليا فى حضرته بفضل وساطة بطرس ويعقوب ويوحنا وهم أقوى التلاميذ وساطة ولوقا الطبيب ذا العقلية العلمية المدققة ينفرد فى وصف ما اعترى هؤلاء التلاميذ أثناء حدوث الظاهرة فيقول فى لو ٩ : ٣٢ « وأما بطرس واللذان معه فكانوا قد تثقلوا بالنوم » .

واليوم وعلى ضوء علم الروح الحديث نستطيع تفسير علة هذا النوم إذ هو نتيجة مباشرة لما سحب منهم من المادة الإكتوبلازمية اللازمة لمثل هذه الظواهر العنيفة .

هذا ولا يفوتك أن أولهما — موسى — هو الذى كتب ما ذكرته كاعتراض على الاتصال بالأرواح .

والمدهش أنه رغم اعتراف اللاهوتيين بهذه الحقيقة ينكرون ما يقوم به جماعة الروحيين من اتصالات بعالم الروح .

ولكن يسوع الناصرى كان إلهاً متجسداً له القدرة على دعوة الأرواح فتأتمر بأمره .

إذا كنت تنسب للناصرى الألوهية التى تسبغها عليه لتجسد روحى موسى وإيليا فى حضرته فيكون إبرهيم أعظم منه إذ يذكر الكتاب أن الله بنفسه تجسد فى حضرته وهاك النص الكتابى المذكور فى تك ١٨ : ١ — ٨ .

وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد للأرض وقال ياسيد إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لأنكم قد صرتم على عبدكم فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت فأسرع ابرهيم إلى الخيمة إلى ساره وقال أسرعى بثلاث كيلات دقيقاً سميداً . اعجنى واصنعى خبز ملة ثم ركض ابراهيم إلى

البقر وأخذ عجلا رخصاً وحيداً وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم وإذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا » .

فاذا كان الرب خالق الكون هو الذى ظهر لابرهيم نصطدم بالآية القائلة « ان الله لم يره أحدقط » ولكن الحقيقة أن من ظهر لابرهيم لم يكن إلا يهوه المرشد الروحى لبنى اسرائيل والذى أخرجهم على يدى وسيطه موسى من أرض مصر . ولفظة يهوه نقلها موسى عن كهنة طيبة والاسم الأصلى كان "Nuk-Pu-Nuk" "Iam The Iam" كما سبق ونقل أشياء أخرى من ديانة المصريين كالختان وتقديس الهيكل ولبس الكهنة الملابس الكتانية وقدس الأقداس وغيرها من الطقوس والعادات الدينية وقول الكتاب بأن موسى تهذب بكل حكمة المصريين يلقى ضوءاً على هذه الحقيقة التاريخية فقد نقل عقائدهم وترك تعاليمهم عن خلود الروح ومصيرها فأخذ الرمز وأهمل الجوهر .

وبالرجوع إلى قصتنا أقول إنه لولا حدوث مثل هذه التجسدات فى عصرنا لما استطعنا أن نفهم أن يهوه هذا لم يكن إلا روحاً من الأرواح التى عاشت يوما من الأيام على أرضنا وبفضل وساطة ابرهيم استطاع أن يتجسد بصحبة اثنين من رسله ومساعديه ولا ستمر رجال الدين بجهلهم ظواهر التجسدات على الادعاء بأن من تجسد وظهر لموسى وإبراهيم وغيرهما لم يكن إلا الله الخالق .

ولكى ألقى ضوءاً على أن يهوه لم يكن إلا زائرا من عالم الروح أذكرك ببشارة هذا الروح لابرهيم وكيف أنه سيكون لساره غلام فى بحر عام من الزمان وهذه عندما سمعت البشارة ضحكت فى باطنها لأنها وزوجها كانا شيخين متقدمين فى الأيام وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء .

فلو كانت سارة تعتقد أن من يتكلم هو الله سبحانه وتعالى لما تجرأت على الضحك ، بل بالعكس لقد كانت كجماعة الروحانيين فى عصرنا لا تنسب العصمة لجماعة الأرواح ، إذ ما هم إلا بشر مثلنا لهم أخطاؤهم ولهم نقائصهم ، وكل ما هنالك أنهم يقفون على درجة أعلى من سلم التطور والارتقاء الذى هو غرض الحياة الأسمى ، وهدف البشرية الذى إليه تسعى .

ولكن سارة ضحكت لأنها لم تكن تعرف أنه الرب إذ كانت بالداخل ولم تره .

ولكن ابراهيم أيضا لم يصدق بدليل ما جاء بالإصحاح السابق ، وكيف أنه لما كان ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب له وقال : أنا الله القدير ؟ ! ؟ ! سر أمامى وكن كاملا فاجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جداً ، وتكلم عن سارة فقال « أباركها وأعطيك أيضا

منها ابنا . . . . . ثم بعد ذلك نقرأ أن إبراهيم سقط على وجهه وضحك وقال فى قلبه « هل يولد لابن مئة سنة وهل تلد سارة وهى بنت تسعين سنة » ، وأراد أن يعلن عدم تصديقه جهاراً فقال لمرشده « ليت اسماعيل يعيش أمامك » أى يكفى أن يكون اسماعيل قد خرج من صلبه ، أما كونه يولد له ولد فى مثل هذا السن فكان أبعد ما يكون عليه تصديقه . وكان جواب المرشد حسب الكتاب على هذا الشك من جانب ابراهيم .

« بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق » ومن المدهش أن الكتاب يقول إن إبراهيم آمن بالرب فحسبه له برًّا ويدعوه باب المؤمنين مع أنه كذب عند ما قال عن سارة امرأته هى أختى خوفا من المصريين (تك ١٢ : ١٣ ، ٢٠ : ٢) ، وأغرب من ذلك أن رب ابراهيم هذا بدل أن يوبخ وسيطه على كذبه ، يظهر لابيمالك فى الحلم ، ويهدده بالموت لأنه أخذ امرأة متزوجة ببعل .

فأين إبراهيم من الأيمان بأقوال الأرواح . إنه وزوجته مثال حى لجماعة الروحانيين فى عصرنا الذين يتبعون قول يوحنا « أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح » ١ يو ٤ : ١ ولكى أدخل فى ذهنك أن من كان يظهر لموسى وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء وهم هم من نسميهم وسطاء فى عصرنا — لم يكن الله ولا حتى ملاك بأجنحة ، بل روحا كانت يوما من الأيام على أرضنا اقرأ قض ١٣ لترى كيف ظهر روح مبعوث من قبل يهوه لامرأة منوح وبشرها بولادة شمشون رغم أنها كانت عاقرا ، وحذرها أن لا تشرب خمراً ولا مسكراً ولا تأكل شيئا نجسا لأن الصبى يكون نذيراً لله من البطن إلى يوم مماته .

بعدها دخلت المرأة وكلمت رجلها قائلة : جاء إلى رجل الله ومنظره كمنظر ملاك الله مرهب جداً ولم أسأله من أين هو ولا أخبرنى عن اسمه .

وهنا ترى من قولها رجل الله أنه كان مثل أى رجل عادى بدون أجنحة ومنظره كمنظر ملاك الله يدل على أنها رأت زائرا من عالم الروح ذا مظهر نورانى .

بعد ذلك نراه يظهر لها مرة أخرى فتسرع راكضة لتخبر رجلها ، فقام منوح وسار وراء امرأته وجاء إلى الرجل وقال له : أأنت الرجل الذى تكلم مع المرأة ؟ فقال : أنا هو . وكرر البشارة بالمولود .

بعد ذلك قدم منوح محرقة للرب من أجل هذه البشارة ، فكان عند صعود اللهيب عن المذبح نحو السماء أن ملاك الرب صعد فى لهيب المذبح ومنوح وامرأته ينظران .

وهناك أيضا قصة جدعون ومنها ترى كيف أنه عندما عمل بنو إسرائيل الشر فى عينى

الرب دفعهم ليد مديان سبع سنين فذلّ إسرائيل جدا فصرخ بنو إسرائيل للرب فسمع لهم وأرسل ملاكه أو رسوله إلى جدعون الذى كان يخبط حنطة فى المعصرة لكى يهربها من المديانيين وقال له :

« الرب معك يا جبّار البأس » .

جدعون : أسألك يا سيدى إذا كان الرب معنا فلماذا أصابنا كل هذا وأين كل عجائبه التى أخبرنا بها آباؤنا قائلين ألم يصعدنا الرب من مصر والآن قد رفضنا الرب وجعلنا فى كف مديان .

الروح : والكتاب يقول « فالتفت الرب وقال اذهب بقوتك هذه وخلص إسرائيل من كف مديان . أما أرسلتك » .

جدعون : أسألك يا سيدى بماذا أخلص إسرائيل . ها عشيرتى هى الذلّ فى منسى وأنا الأصغر فى بيت أبى .

الروح : والكتاب يقول : « فقال له الرب إنى أكون معك وستضرب المديانيين كرجل واحد » .

جدعون : إن كنت قد وجدتُ نعمة فى عينيك فاصنع لى علامة أنك أنت تكلمنى لا تبرح من ههنا حتى آتى إليك وأخرج تقدمتى وأضعها أمامك .

الروح : إنى أبقى حتى ترجع .

فدخل جدعون وعمل جدى معزى وايفه دقيق فطيراً . أما اللحم فوضعه فى سل ، وأما المرق فوضعه فى قدر وخرج بها إليه تحت البطمة وقدمها فمد ملاك الرب طرف المكاز الذى بيده ومسّ اللحم والفطير فصعدت نار من الصخر وأكلت اللحم والفطير وذهب ملاك الرب عن عينيه .

ولكن جدعون رغم هذه العلامة المقنعة الملموسة لم يكتف بها كبرهان على صدق الرسالة فطلب أكثر ليتحقق من أن حامل الرسالة له القدرة على تنفيذ وعده بالمساعدة .

ويقول الكتاب « وقال جدعون لله : إن كنت تخلص بيدى إسرائيل كما تكلمت فها إنى واضع جزة الصوف فى البيدر ، فإن كان طل على الجزة وحدها وجفاف على الأرض كلها علمتُ إنك تخلص بيدى إسرائيل كما تكلمت ، وكان كما طلب فبكر فى الغد وضغط الجزة وعصر طلا من الجزة ملء قصعة ماء .

ورغم ذلك لم يقتنع جدعون وكأن به ينسب هذه الظاهرة للمصادفات إذ يقول الكتاب « فقال جدعون لله لايحم غضبك علىّ فأتكلم هذه المرة فقط امتحن هذه المرة فقط بالجزة — فليكن جفاف فى الجزة وحدها وعلى كل الأرض ليكن طل ففعل الله كذلك فى تلك الليلة فكان جفاف فى الجزة وحدها وعلى الأرض كلها طل » .

ألا ترى معى ياعزيزى أن قصة كهذه ترينا حادثة روحية رائعة لوسيط يريد التأكد من قوة مرشده الذى كلفه برسالة هى فوق طاقته ولا يستطيع القيام بها بمفرده ولكن بقوة الروح وبمساعدة سكان العالم غير المنظور يستطيع أن يقوم بما لا يقوى عليه منفرداً ؟ وأليس من الغباء بمكان بل قل إنه التجديف بعينه إذا ما قلنا إن هذا الملاك أو الروح المبعوث من عالم الروح هو الله الخالق ؟ ألا ترى معى أن قراءة الكتاب المقدس على ضوء علم الروح الحديث يكسبه لونا غير اللون الذى أعطاه إياه رجال اللاهوت بتفاسيرهم المتضاربة الفاسدة ؛ فكلمة « الله » « وملاك الله » « وقال الرب » « وظهر ملاك الرب » وغيرها من مثل هذه الألفاظ لاتعنى خالق الكون عزوجل ، بل إن هذه الألفاظ أسىء ترجمتها وجهل المترجم بحقيقة الروحية واستحالة اتصال العالمين لديه جعلته ينسب هذه المخلوقات الغريبة التى تظهر ثم تختفى إلى تلك القوة السرمدية الغير المدركة أى الله .

لقد قرأت الكتاب مرات قبل اكتحال عينى بنور الروحية ولكنه كان عبارة عن طلاسم وألغاز والفضل فى تعقيده يرجع كما قلت لتفاسير رجال اللاهوت العقيمة الملتوية نتيجة جهلهم بالظواهر الروحية وإنى أذكر ذلك اليوم الذى بدأت قراءته فى نور الروحيه وما كنت أشعر به من لذة تفوق كل وصف إذ فتح الكتاب بعد أن كان مغلقا ، بل فتحت عيناى بعد أن كانتا لاتبصران إلا ظلام التفاسير .

وأنا لا أنتظر من شاب مثلك أن يكون قد قرأ الكتاب المقدس شخصياً ولولا أنى كنت أعد نفسى للخدمة الدينية لما فتحت هذا الكتاب ، بل كنت أسير كغيرى معتمداً على أناس خصصوا أنفسهم لدراسته وتفسيره بل قل لطلسمته وتعقيده .

على العموم لقد طال بنا الحديث وإن شاء الله عند تقابلنا مرة أخرى لنتابع أبحاثنا فى هذه الحقيقة الكونية .

ودعته إذ كنت على موعد للعبيت مع قريب آخر هو الدكتور أنور رياض الذى حال مقابلتى انهال على بالأسئلة فيما رأيت وشاهدت وأنا وإن كنت قد استطعت إقناع ابن عمى

بعض الشيء لنزعته الدينية فقد وجدت صعوبة فى إقناع هذا الطبيب إذ أنه بحكم مهنته يطلب البرهان العلمى والبينة الملموسة .

حان موعد النوم فآوى كل إلى فراشه لأستيقظ فى منتصف الليل على صوت نقرات فوق دولاب كان بالغرفة وبعد تنبهى شعرت بالغطاء يسحب من فوق . جذبته نحو الرأس لتعود حركة الانسحاب ناحية القدمين ثم جذبته ليعود للمرة الثالثة . خشيت وجود روح ماجنة وتشجيعاً لنفسى بدأت برسم علامة الصليب فى الهواء وقراءة الصلاة الربانية فكانت النتيجة أن شعرت[1] بوجود شخص طويل القامة واقفاً عند القدمين بعدها رجع كل شيء إلى ما كان فاختفت النقرات ووقفت حركة انسحاب الغطاء واستنتجت أن هذا الروح لا بد وأن يكون هو الروح الذى رآه الوسيط بغرفة الجلسات ولا سيما لأن الوصف يكاد يكون مطابقاً له وكأن به يريد تشجيعى فى مداومة دفاعى عن الروحية وإقناع الغير بحقيقتها .

---

(١) من الصعب أن أصف للقارئ ما أقصد بكلمة « شعرت » وكل ما هنالك أنى أستطيع أن أجزم بأن هذا الشعور لم يكن ناتجا منى بل عن مصدر خارج عنى ، بدليل أنه كان مفاجئا وانى لحظة فيها تبينت هيئة الروح الموجودة وكان الإحساس حيا لدرجة لايمكن تفرقته عن الرؤية بالنظر .

الفصل الخامس

بدء الموهبة الروحية

ما أن وصلت الفيوم حتى بدأ عالم الروح يشعرنى بوجوده بشكل دفعنى إلى عقد الجلسات مع العائلة .

فقد حدث ليلة وصولى أن استيقظت ، فى منتصف الليل أو بعده بقليل ، على صوت نقرات على شباك الغرفة المغلق رغم ارتفاع الشباك بالدور الثانى . تنبهت لأسمع حركة كما لو أن يداً تلعب بمياه « صينية القلل » أعقبها أخرى كما لو أن شخصا يشرب ماء من نفس القلة ، أولت كلتا الحركتين إلى وجود قطه تلعق بشكل حملنى على هذا التفكير وحاولت طرد فكرة وجود أرواح بالغرفة وان كان هو تعليل الأشياء بعللاتها الطبيعية .

حاولت طرد القطة كالعتاد ولكن بدون جدوى اذ تكررت الحركة أكثر من ثلاث مرات .

بعدها انتقلت الحركة إلى حيث كنت على سريرى فشعرت كما لو أن يداً تسير فوق الغطاء وعلى أطارف الأصابع وقد شعرت شعوراً لا شك فيه بكل إصبع بمفرده . وبما أننى لا أرى شيئا فى ظلام الغرفة الحالك أولت الحركة إلى وجود فأر ولكى أقضى عليه انتقاما لإزعاجى استجمعت كل قواى وضربت الغطاء بقدمى ثم انتظرت اصطدام الفأر بسقف الحجرة ثم رجوعه ميتا فوق ولكن لدهشتى لم يحدث شىء ما .

تكررت هذه الحركة أكثر من مرة لأكرر ضرب الغطاء كلما شعرت بها .

بعدها عادت الحركة بشكل آخر إذ سمعت صوت انسياب يد بين الوسادتين فذهبت إلى الجانب المضاد لتنتقل الحركة تحت رأسى مباشرة وتكررت الحركة كالحركات السابقة .

بدأ يداخلنى الخوف قليلا فناديت والدتى التى كانت نائمة بسرير مقابل بالغرفة الجانبية ويفصلنا باب مفتوح على مصراعيه .

وفى لمح البصر سمعت حمامة ترفرف تحت السرير ثم تطير مبتعدة وفى نفس الوقت كشف عن نظرى فرأيت والدتى بصحبة الروح الذى رأيته بمصر بمنزل الدكتور .

حدث كل هذا قبل أن ترد والدتى على ندائى وقد أدهشتنى بقولها إنها كانت مستيقظة

طوال الوقت وهى شاعرة بكل حركاتى وكانت ترى نوراً يميل إلى الزرقة تحت سريرى وكانت صامتة تتأمله وعند مناداتى لها رأت هذا النور يتخذ شكل كرة وبدأت تتدحرج حتى وصلت إلى سريرها ثم اختفت .

إذاً لم أكن مخدوعا اذ شاركنى شخص آخر فى رؤية وسماع بعض ما اختبرت .

شكرنا الله على عجائبه وأسراره فى كونه وأويت إلى فراشى لأستيقظ فى الصباح بشعور روحى سام لازمنى طوال النهار .

فكرت جدياً فى عقد الجلسات والاتصال بتلك القوات التى تود هى الاتصال بنا ولما كانت ظروف العمل تحول دون عقد الجلسات فى بحر الاسبوع قررت عقدها فى مساء كل أحد لمناسبته للجميع ولى وبما أن الاختبار دل على أن أنجح الجلسات الروحية ما اقتصر منها على أفراد العائلة الواحدة لتوافر الانسجام بينهم حصرت جلسات التمرين الابتدائية على أفراد العائلة فقط حتى تم لنا التواصل فتفتحت الباب للغير .

بدأت جلساتى الروحية فكانت مكونة مبدئيا من والدتى (٥٥ عام) وأختى نجيبه (١٨ عاماً) واختى زهه (١٤ عاماً) وبنتا أخى ناشد ازيس (١٦ عاماً) وايريس وتصغرها بعام وأنا وكان لى من العمر وقتئذ ٢٦ عاما . أما أخى نصحى وعمره ١٦ عاماً فقد قام بمهمة إدارة الفونوغراف .

ولم يكن غريبا عنا الا صديق لى يدعى وديع أفندى ميخائيل كان يتردد على جلساتنا وخصوصا بعد أن تم لنا الاتصال بعالم الروح غير أنه لم يلبث معنا كثيرا حتى اضطره عمله للرحيل لمصر وحتى لا يفقد غيرته على الروحية التى كان يشتعل بها حماسة فى ذلك الحين أرشدته إلى جلسات الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير ليداوم اتصاله بعالم الروح وهناك ظهرت وساطته فى الكتابة التلقائية .

وحتى أستطيع التأثير على أفراد العائلة ألبست الروحية لباساً دينيا فكنت قبل البدء فى الجلسة أقرأ من الكتاب المقدس ما يمت للروحية وهو يعتبر من أكبر الكتب الهامة الحاوية لمختلف الظواهر الروحية والتى يحدث مثيلها فى عصرنا داخل غرفة الجلسات فقد كتبه أناس كانت لهم اختبارات روحية فدونوها دون شرح أو تعليق علما منهم بأن من سيقرأونها من بعدهم روحانيون لهم نفس الاختبارات .

فالكتاب المقدس كغيره من الكتب الروحية لا يفهمه الا جماعة الروحيين فقد كتبه روحيون ولأجل الروحيين وهم وحدهم يستطيعون فهمه واستساغة ما يعسر فهمه على

غيرهم المدعين احتكار تفسيره وهم أجهل ما يكون به وقاد جهلهم إلى تعقيده رغم بساطته .

وفى هذا نجد لبعض رجال الدين الذين يقولون ويقولون بكل جراءة وتبجح إن إعلان الله للبشر قد تم فى يسوع الناصرى وهم وحدهم كأتباع له يمتلكون مفاتيح المعرفة الروحية وهم أبعد مايكون عنها .

بأى حق يقولون هذا وعلى أى أساس يستندون فى دعواهم الكاذبة التى كانت سببا فى إصابة مسيحيى العالم بالعمى الروحى وخصوصا عندما ناصبوا الوسطاء العداء وأذاقوهم العذاب ألوانا سواء بالقتل أو الحرق متخذين الآية القائلة « لا تدع ساحراً يعيش » سلاحا لهم فى عملهم الوحشى . ولكنهم أمام نور العلم الذى بدأ يشع فى جوانب المعمورة عقب ظهور فن الطباعة مبدداً ظلام جهلهم ألقوا سلاح العدوان لا اتباعا لقانون المحبة بل لأنهم اجبروا على ذلك بعد أن كسر العلم شوكتهم على أيدى من تفتحت أعينهم للنور أمثال لوثر الذى ثار ثورته ضد سلطة البابوية اللا نهائية عاملاً جهده على القضاء على خرافة بيع صكوك الغفران ، فكانت جراءة منه أن يتعدى على من كان يعتقد فى عصمته فاستطاع ومن معه الانشقاق على الكنيسة الكاثوليكية مكونين مذهب المحتجين أو البروتستانت ، فهو وان كان قد نجح فى اخراجهم من ضلالة عصمة البابوية والكنيسة إلا أنه أوقعهم فى أخرى شر منها هى عصمة الكتاب .

ليعذرنى القارىء اذا كنت قد توسعت بعض التوسع ، إذ ليس فيه خروج عن موضوعنا وما قصدت بذلك تهجما على جميع رجال الدين وبينهم فى عصرنا العدد الوفير ممن يناصرون الروحية وان كان خفية خوفا من الانتقاد ولهم اردد قول الناصرى « لا يضيئون سراجا ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة » .

لقد حان لكم الوقت يا مسيحيى القرن العشرين وإنى أهيب بكم أن ترجعوا بالمسيحية إلى عهد طهارتها الأول ابان الثلاثمائة عام الأول من حياتها وقبل أن تبلى بشر النظام الكنسى .

ولنرجع إلى مواصلة حديثنا عن الجلسات فاقول إنه بعد قراءة أصحاح من الكتاب كمخاطبة يهوه المرشد لبنى اسرائيل لوسيطه موسى وظهوره له فى المليقة وامتحان موسى له للتأكد من صدق الدعوة وقوة الروح المرسل ، نقف جميعا للصلاة .

وهنا أقول بكل ما فى كيانى من قوة وحياة إنه إن كان هناك فضل للروحية فيكون تعليمى قوة الصلاة ومعناها . نعم لما كنت طالبا بكلية أسيوط سمعت مئات الصلوات ورفعت العشرات منها ولكنها لم تكن سوى واجب فرض علينا اداؤه فى أوقات معينة . أما الآن

فعرفت أنها قوة حية عاملة ، لها تأثيرها فى الكون من حولى وإنها أكثر من كلمات نحفظها عن ظهر قلب ثم نرددها من حين لآخر .

بعد الصلاة نجلس فى شبه دائرة وقد أمسك كل بيد جاره وكلنا خشوع وتعبد ، عالمين أننا فى قدس أقداس الحياة حيث الشركة مع القديسين وتحت رعاية خدام النور وحراستهم .

داومنا على عقد جلساتنا فى نفس المكان والزمان من كل يوم أحد ، وكان لحسن حظنا أن تم لنا الاتصال بعالم الروح بعد وقت قصير لم نترك فيه بدون مشجع إذ من حين لآخر كنا نسمع نقرات فى أماكن مختلفة من الغرفة بينما البعض كان يرى أضواء تظهر ثم تختفى وآخرون يشعرون بهبوب نسمات أو مرور شىء خفيف على جباههم كخيط حريرى أو يشم رائحة ذكية أو ما إلى ذلك من مختلف الظواهر الدالة على أن هناك شيئا غير منظور هو علة هذه الظواهر .

وهنا أقول إنه حتى وإن لم يشعر الجالسون بأى من هذه العلامات فى بادىء الأمر فليعلموا علم اليقين أنه حال قرارهم بعقد الجلسات تقرأ أفكارهم من سكان عالم الروح فتتعين لهم هيئة حارسة تجرى عملها فى الخفاء حتى يحين الموعد فينتهزون أول فرصة ممكنة للاتصال اتصالا مباشراً بالجالسين من جانبنا فقط فلنمهد لهم سبيل التأثير فى عالمنا بشكل تستجيب له حواسنا ومشاعرنا .

وقد يكون بين الحاضرين وسيط مستكمل الوساطة وهو لا يدرى فيتم فى حضرته الاتصال بين العالمين وقد لا يوجد من يملك هذه الخاصة فى دور النضوج وهنا يتحتم الاستمرار فى عقد الجلسات بدون ملل أو كلل حتى تنمو تلك القوة الكامنة فى كل منا وإن كان بدرجات متفاوتة ، وظلام غرفة الجلسات كفيل بإنماء هذه القوى الخفية فينا فهى سنة الطبيعة بعينها التى استلزمت الظلام لنمو الجنين فى رحم الأم والبذرة فى باطن الأرض .

وبهذا نطبق عمليا قول بولس الرسول « جِدّوا المواهب الروحية » فلنجد باحثين عن تفصيل مملكتنا الواسعة التى جمعت كل ما فى الوجود ، فلنكن فى أرضها إن شئنا ، أو فى سمائها إن أردنا ولنعرف ما اشتملت عليه تلك المملكة الفيحاء من أسرار فنحذرهم لئلا يخربوها علينا ، ومن خيار فنرعاهم وننصرهم — إنها مملكة غنية فلنبحث عما فيها من كنوز فنستخرجها .

وهنا أذكر بعض ما يجب مراعاته فى عقد الجلسات والشروط اللازمة لضمان النجاح .

(١) تعيين زمان ومكان مع مراعاة الدقة المتناهية فى حفظ المواعيد .

(٢) تأجيل وجبة العشاء إلى ما بعد الجلسة إذ أن امتلاء المعدة يعيق تقدم الظواهر بل قد يحدث قيئا إذا ما كانت الظواهر قوية .

(٣) عدم وضع رجل فوق الأخرى حتى لا يعاق خروج مادة الأكتوبلازم تلك المادة الحيوية التى تنبثق من أجساد الحاضرين أثناء الجلسة ، وترد عند انتهائها وعن طريقها يستطيع جماعة الأرواح التأثير فى عالمنا المادى .

(٤) يبدأ انعقاد الجلسات التمهيدية فى ظلام دامس حتى يتم النجاح وبعد ذلك يستعمل النور الأحمر الضئيل أو أى لون آخر خلاف الأبيض ، إذ أن تموجات الأخير هادمة لمادة الأكتوبلازم .

(٥) عدم تغيير أثاثات الغرفة لأنها من جلسة لأخرى تشحن بقوى روحية تساعد على تقدم ما بلى من جلسات وكم يكون أفضل لو دشنت غرفة خاصة .

(٦) لا يزيد عدد الجلسات عن مرتين أسبوعيا وكل مرة لا تتعدى الساعة .

(٧) استعمال الموسيقى الصامتة إذا تعذر إيجاد الانسجام بأى وسيلة أخرى .

(٨) إذ اتفق وجود رجال وسيدات يكون الجلوس بالتناوب ، أى سيدة ثم رجل وهكذا .

(٩) يحب دخول غرفة الجلسات وكل فى حالة نفسية جيدة تاركا هموم العالم ومشاغل الحياة اليومية فى الخارج ويدخل ليصرف بعض الوقت فى الخلوة مع الله والتأمل فى أسراره العجيبة التى تحتاط بنا .

(١٠) منع دخول الأطفال أو من يشعر بتعب جسمى .

(١١) كل يجلس فى مكانه المعين وكلما روعى عدم التغيير فى أى شىء ما كان أدعى للنجاح وأسرع ، وهناك البعض مبالغة منهم فى الدقة يحتفظون بملابس بيضاء خاصة بالجلسات .

(١٢) التذرع بالصبر فقد تمر جلسة بل جلسات دون الشعور بشىء مشجع ، ولكن مما لا شك فيه أن هناك عملا يجرى من وراء الستار وأن جماعة الأرواح أكثر شوقا منا إلى الاتصال بنا .

(١٣) الاحتفاظ بسر الجلسات ما أمكن حتى عن أقرب الأقربين إلى أن يتم الاتصال والحصول على ما فيه البرهان المقنع .

(١٤) تدوين جميع الاختبارات غثها وسمينها الهام منها والتافه فى ظاهره فسوف نخرج فى النهاية بانسجام وتوفيق غاية فى الدقة وشخصيا ساعدنى على هذا العمل وجود بعض أفراد العائلة بمصر كانوا شغوفين بالوقوف على اختباراتنا الروحية ، وحتى لا أحرمهم فكرت فى إرسال رسالة أسبوعية تحت عنوان « الكون المنشور » ولم يدر بخلدى أنهم سوف يحتفظون بكل ما كنا نرسله لهم ، وفاجأونى مرة بمجموعة طيبة ، فآثرت الاحتفاظ بها ، ولم يتبادر لذهنى أنه فى يوم من الأيام سوف أطالب من عالم الروح بإخراج هذا الكتاب إلى عالم المادة إذ فى صباح يوم من أيام شهر يونيه سنة ١٩٤٤ ، وبعد نزهة خلوية شعرت بإلهام قوى فيه أعطيت عنوان الكتاب وأبوابه وعندها عرفت قيمة رسالة « الكون المنشور » ، إذ كانت كمنبع استقيت منه أغلب محتويات هذا الكتاب .

(١٥) حصر التفكير وتركيزه ، وأن يكون الجميع بنفس واحدة حتى يتوفر الانسجام ويسهل الاتصال فتشتيت الأفكار له تأثيره المضاد .

(١٦) استرخاء جميع عضلات الجسم مع الاستسلام الكلى .

(١٧) أن ينظر للجلسات نظرة جدية ، فهى اتصال قدسى مع أرواح علوية أرقى منا إدراكا ، ومن أراد البحث فى موضوع جليل كهذا يجب أن يكون شديد الراس غير هازل أو مستسلم لتيارات الانفعالات النفسانية ، وإلا فإنه لا يستفيد شيئا هاما ولا ينتظر ارتقاء عقليا ولا استطلاعا لثقافة عالية ولا يجد سبيلا للوصول إلى فلسفة عميقة ولا يكون أهلا للخوض فى مدارك العالم ذى العلم الوافر .

ولو بلغت الحماقة أو الغطرسة بإنسان إلى التصور بأن تكوين الظواهر الروحية هو لغرض التسلية أو اللهو فليعلم أن أرواح العالم السمائى ليسوا بعبيد أرقاء يأمرون أو يصغون لنداء الطائشين ، وإنه لخير له الابتعاد عن اللعب بالنار .

الفصل السادس

المثابرة أم النجاح

يوم مشهود فى تاريخ حياتى ذلك هو يوم الأحد ١١ يونيه سنة ١٩٣٩ ، إذ تم لى فيه الاتصال بذلك العالم العلوى .

جلسنا كعادتنا بعد القراءة والصلاة وبدأ أخى نصحى مهمته بإدارة الفونوغراف ، وبعد ربع ساعة من جلوسنا شعرت بأصابع إيريس تنفرط مع شىء من التصلب ، وأخذ جسمها يميل إلى الخلف حتى مسند الكنبة الخلفى وبدأ قدماها فى الارتفاع حتى مستوى الركبتين وبعدها بقليل مالت إزيس على وهى تهمس فى أذنى عما اعترى نجيبة فعرفتها بدورى بما حدث لإيريس .

وهنا سمعنا من يتكلم بلسان إيريس وبنبرة يتخللها شىء من الخشونة فقال بعد أن ألقى التحية : « نوم الوسيطة يا نصيف افندى على الكنبة » ، وعلى ضوء النور الأحمر الذى سمح لنا به ، قمت وأنا أتعثر من شدة الفرح ، وبمعاونة ازيس أرحت الوسيطة على الكنبة التى كانت تجلس عليها اتباعا لأوامر مرشدها الروحى وبعدها مددنا جسم الوسيطة الأخرى على الكنبة المقابلة لها ، وسمعنا صوتا رقيقا يلقى علينا تحية المساء بلغة عربية ركيكة تدل على حداثة متكلمها فرددنا التحية وقد علا جبين أعضاء الدائرة موجة من السرور وأخذوا يتغامزون قائلين من يدرى ربما رجل وزوجته ، وعند هذه الكلمة انفجرت صاحبة الصوت الرقيق بضحكة عالية لم تدع مجالا للشك فى أن صاحبته سيدة ، بعدها شعرت بكلمة « فيدا » تسقط فى رأسى سقوطا ، ولكنى حاولت طرد الفكرة كأنها من عنديات لسابق معرفتى وقراءتى عن هذه الروح المرشدة ثم وجهت السؤال إلى صاحبة الصوت طالبا معرفة اسمها فكان الجواب بعد أن سمعنا ضحكة عالية كلها مرح وسرور « انت عارفه يا نصيف افندى » دهشت لهذا الرد وأعدت السؤال مستفسراً عما إذا كانت هى الآنسة فيدا فكان الرد بالإيجاب .

اعترفت لباقى الأعضاء بكيفية معرفتى الاسم وأنا فى دهشة من هذه البينة ، ورحبت بالآنسة فيدا كل الترحيب ثم تركتها لغيرى يتحدث معها لألبى طلب السيد . سألته اسمه ولكنه رفض مؤجلا إياه لوقت آخر .

بعد برهة من الزمن قضيناها فى الترحيب والتحدث مع الزائرين ألقيا علينا السلام بعد أن أملانا السيد بعض التعليمات اللازم اتباعها فى عقد الجلسات .

وعلى أثر انصرافهما رجعت الوسيطتان إلى حالتهما الطبيعية ، وبعد استرجاع وعيهما سألت كل منهما ما اختبرته ، فقالت الواحدة شعرت بثقل فى الرأس أعقبه ميل للنوم ثم فقدان الشعور بينما الأخرى رأت نوراً ساطعاً وجه نحوها وعلى أثره لم تشعر بما تم .

لم أكن أطمع فى الوصول إلى الاتصال بالآنسة فيدا وهى الروح المرشدة للوسيطة الإنجليزية الفذة « مدام اسبورن ليونارد » Mrs. Osborne Leonard. التى قدمت خدمات جليلة الشأن للعلامة السير أولفر لودج ومكنته من الحصول على الأدلة القيمة على صدق مناجاة الأرواح .

وهنا أقول إنه من شدة السرور لم يعرف النوم إلى عينى سبيلا ولم يغمض لى جفن وأمضيت الليل كله فى تفكير وتأمل فى عجائب الكون وأسراره التى تكتنفنا من كل جانب فلنا عيون ولكنها لا تبصر ولنا آذان غير أنها لا تسمع .

تواردت الأفكار وجاءت إلى ذاكرتى بعض الآيات الكتابية والاختبارات الروحية والتى تشبه مانحن بصدده وتبرهن على صدقه :—

تك ١٥ : ١٢ ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع على ابرام سبات وإذا رعبة مظلمة واقعة عليه .

وبعد تخاطب الرب مع إبرام وعند انصرافه يقول فى عدد ١٧ ثم غابت الشمس فصارت العتمة وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع .

ففى هذه الآيات وأمثالها نرى وجوب الظلام لاتصال العالمين .

الملوك الثانى ٣ : ١١ فقال يهوشافاط أليس هنا نبى للرب فنسأل الرب به ؟ فاجاب واحد من عبيد ملك اسرائيل وقال : هنا اليشع بن شافاط الذى كان يصب ماء على يدى إيليا — ١٢ — فقال يهوشافاط عنده كلام الرب فنزل اليه ملك اسرائيل ويهوشافاط وملك ادوم — ١٤ — فقال اليشع حى هورب الجنود الذى أنا واقف إمامه أنه لولا انى رافع وجه يهوشافاط ملك يهوذا لما كنت انظر اليك ولا أراك ١٥ والآن فأتونى بعوّاد ولما ضرب العوّاد بالعود كانت عليه يد الرب .

وهكذا نرى ما للموسيقى من ضرورة لاتصال العالمين اذ فى حضرة العواد وعلى نغمة

العود وقع اليشع النبي تحت هيمنة مرشده وأنا أرجح كثيرا أنه كان ايليا النبي . وجاءت النبوة للملوك بالنجاة والغلبة . اخبار الأيام الثاني ٥ : ١٣ « وكان لما صوت المبوقون والمغنون كواحد صوتا واحدا لتسبيح الرب وحمده أن البيت بيت الرب امتلأ سحابا (اكتو لازم)

« انا سحابة من الشهود مقدار هذه تحتاط بنا »

يو ١٤ : ١٦ ، ١٧ « وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم » .

« وأنا أقول لكم اسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم . لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له فمن منكم وهو أب يسأله ابنه خبزا أفيعطيه حجراً أو سمكة فيعطيه حية بدل السمكة أو إذا سأله بيضة أفيعطيه عقربا فان كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى الآب الذى من السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه » مز ٣٤ . ٧ « ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم » .

وهكذا فتح الطريق أمامى ولاح لى كما لو أن قوة خفية كانت ترعانى على الدوام حتى وفقت إلى ما كانت تصبو إليه نفسى وتشعر بحنين إليه وهى تجهله . فانفصلت بالحياة الأخرى تلك الحياة التى لا تزال قلوب المؤمنين بالأديان والمعتنقين لشتى المذاهب مفعمة بالشك فى وجودها وعلى الأخص عند معظم المتنورين من الناس لكثرة الأوهام المتسلطة على عقولهم من رهبة الموت .

فالموت ما هو إلا باب لحياة جديدة حيث العمل والاطلاع والتدرج فى سبيل الارتقاء الحق وأن به تدق ساعة الأبدية أول دقاتها الخافتة إيذانا بتجديد عهد الترعرع فى الوجود الصحيح والتطور فى دور الإنسان الحقيق الكامل فى ظل الهناء السرمدى والسعادة الأبدية .

ورغم عدم إعطاء الجسم ما يستحقه من راحة إلا أن هناء النفس وما تمتعت به من نور سماوى عوض كل تعب ولم أرجع إلى الشعور بعالم المادة إلا أمام نور الصباح وقد أخذ يتسلل من النافذه واستقبلت يوما شائقا جميلا من أيام شهر يونيه وكأن ثغر الطبيعة يفتر عن ابتسامة السرور العميق المستمد من رقة العالم الروحى الأثيرى .

وهكذا لاحت لى تلك البارقة العظيمة الشأن من العالم المجهول وهذه البارقة إما أن تذروها الرياح أو تتوطد كصخرة أقامها الله . وطوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون .

الفصل السابع

انقضاء عهد العقل الباطن

مع أننى وجدت البلاد حقا كصحراء جرداء من هذه الناحية لم أفقد الرجاء بالمستقبل وعقدت النية على إتمام غايتى مهما كلفنى الأمر ، لأن شدة شغفى بهذا البحث كانت فوق كل شدة وصممت على اقتحام ميادين هذا العلم الذى أتيت أول أبوابه مهما أدى بى المصير .

سرنا مدفوعين بروح الأمل وبشغف لا مزيد عليه عاقدين جلساتنا مرتين أسبوعيا حسب التعليمات التى أعطيناها فأضفنا يوم الخميس إلى يوم الأحد ، وكانت أغلب الجلسات تمضى فى تمرين الوسيطتين ، وهنا أقول إن التمارين فى حد ذاتها وما بلغته من العنف والشدة كانت أكبر برهان على وجود قوات تعمل معنا خلف الأجسام المادية المنظورة لنا وبشكل استرعى أنظار الجميع حتى الماديين من أفراد العائلة .

تصور فتاة لا تعرف من الرياضة البدنية حتى مجرد الاسم نائمة على ظهرها فى تخشب تام يبدأ جسمها فى التقوس حتى يرتكز كل الثقل على هامة الرأس وأطراف أصابع القدمين مع امتداد اليدين إلى أعلى ومع ذلك تستمر مرشدتها فى الحديث معنا كأن ما يحدث لوسيطتها شىء ثانوى لها .

وحدث مرة أن كان التمرين عنيفا ومن خوفى على أختى انحنيت على الآنسة فيدا وقلت لها مازحاً « اعملى معروف يا آنسة فيدا حاسبى على وسيطتك لئلا تنكسر رقبتها أو يحدث بها التواء » .

فضحكت ضحكتها المعهودة وقالت :

« لا تخف يا نصيف افندى فنحن نخاف على الوسيطة أكثر منكم فهى لنا بمثابة كنز ثمين إذ عن طريقها فتح لنا باب العالم المادى ونطلب من الروح الأعظم أن يمدنا جميعا بقوته حتى نستطيع إنقاذ ما يمكن من نور عالمنا البهى إلى ظلمة عالمكم الحالكة ، ولا تنس أننى لست بمفردى ، بل هنا أطباء كانت لهم شهرتهم فى عالمكم وهم يحضرون فى كل جلسة ليشرفوا على ما أقوم به من تمارين للوسيطة ثم العمل على إرجاع الوسيطة إلى حالتها قبل الوقوع فى الغيبوبة دون أن تشعر بأى تعب جسمانى » .

وهذا ما كان يحدث بالفعل ، فرغم ازدياد التمارين شدة فى كل مرة حتى بلغت درجة تحدث فيها قانون الجاذبية ، كنت أسأل الوسيطتين بعد استرجاع وعيهما عما إذا كانتا تشعران بتعب ما فتجيبان بالنفى متسائلتين عن الدافع لمثل هذا الاستفسار .

وعندما نبدأ بوصف ما قامتا به من تمارين عنيفة كانت تظهر على وجهيهما علامات الريبة لولا وجود ما بيدنا من « فوطة » ابتلت بالعرق المتصبب منهما تقدمها كبرهان لتعزيز أقوالنا .

وبعد زمن قصير استطعنا أن نرى نتيجة محسوسة فى استدارة جسمى الوسيطتين وقد أصبح لكل منهما جسم رياضى بفضل تلك التمارين بعد أن كان مترهلا بعض الشىء .

فى أثناء هذه الجلسات التمرينية التى امتدت زمنا غير قصير كنت ألح على السيد من وقت لآخر بذكر اسمه وكثيراً ما حاولت الوقوف عليه من الآنسة فيدا فكانت تماطلنى بشىء من الدلال واخيراً اعترفت لى صريحا بما لديها من أوامر بعدم الاباحة به .

أخيرا وبعد أن يئست وكنت إلى الصمت ولم أعاود تكرار السؤال عن الاسم حتى فاجأنا هذا السيد بالقول إنه سوف لا يبوح بالاسم إلا عند الاستاذ أحمد فهمى أبو الخير .

تصادف حلول موعد العطلة السنوية واتباعا لطلب هذا السيد سافرت بصحبة أعضاء الدائرة بعد ان اتصلت بالاستاذ خطابيا شارحا له الموقف فأذن لنا بالحضور للقاهرة لعقد جلسة خاصة طرفه .

وصلنا إلى منزل الأستاذ حيث قادنا إلى غرفة الجلسات وهناك أحضر طاولة وقد حفر على حافتها المستديرة الحروف الأبجدية ووضع الكوب فى وسطها ثم قام بتعصيب الوسيطتين وحال لمسهما الكوب باصبعيهما سار بقوة وبسرعة مدهشة مشيرا إلى الأحرف ه . و . ى . ت — ه . و . ك .

فدهشنا جميعا لهذه المفاجأة الغير منتظرة وخصوصا أنا وقد كان الأحق بى أن أعرفه قبل غيرى لما سبق واختبرته شخصيا معه ولكن هكذا غاب الاسم عن ذاكرتى كلية .

فلقد كان بمخيلتى أو على حد قول جماعة الهادبين من السيكولوجيين بعقلى الباطن اسما فيداوهويت هوك ولكن لسبب ما يعرفه هذا العقل دون صاحبه أظهر أحدهما وحجز الآخر حتى يكلفنا مشقة السفر والانتقال من بلد لآخر .

ولكن هذا ماحدث وكأن جماعة الأرواح قصدوا اعطاءنا هذا الاختبار كدليل مجسم على أن مناجاة الأرواح ليست تخاطبا فكريا كما يفسره البعض أو تأثير العقل الباطن كما يفسره

البعض الآخر أو وليد تفكير الحاضرين وهى فكرة أشد سخافة من التخاطب الفكرى والعقل الباطن .

وحقيقة الواقع أن اسم فيدا ألهم لى وأمسك الآخر رغم أن اسم هويت هوك كان معروفا حتى للوسيطة نفسها التى سبق وقرأت مانشر عنه بالجرائد بقلم الاستاذ أبو الخير فكان من السهل على عقلها الباطن أن يظهره لنا .

بهذا الإختبار الواضح وضوح الشمس فى رابعة النهار استطعت أن ادق آخر مسمار فى كفن التخاطب الفكرى وشيعت نظرية العقل الباطن إلى مقرها الأخير ودفنت فكرة أن الأرواح وليدة الفكر وهلت عليها ما استطعت من تراب .

وعلى ضوء هذا الحادث اذكر حادثا آخر وقع لى ذات ليلة اذ حلمت حلما سبب لى انزعاجا شديداً إلى حد انى عند الاستيقاظ صباحا بكيت لهول مافيه من انذار بشر مستطير واخيرا استلقيت على ظهرى مسترخيا جميع عضلات الجسم وطلبت من أعماق القلب وبتلهف إرشادا ما .

وللحال شعرت بكلمة "Nighmare" تسقط فى رأسى بشكل قاطع لكل شك فى أن الكلمة ليست من عنديانى . أو وليدة العقل المزعوم. ولجهلى معنى الكلمة وقتئذ قمت مسرعا إلى مكتبى وفتحت القاموس لابحث عن معناها وعند الوقوف عليه شعرت بالثقل الذى كان جاثما فوق صدرى نتيجة الحلم المزعج يزول كما لو أن قوة سحرية أبادته ومن شدة ما أصبحت فيه من سرور وفرح وانتعاش نفسانى قطعت الغرفة ذهابا وايابا وأنا أرقص من شدة الفرح لهذا الاختبار الروحى المنعش .

إلى هنا أكتفى بذكر هذا الاختبار والذى تكرر فى مواقف عدة ، لأوجه كلامى إلى مدعى المعرفة بعلم النفس علهم يستطيعون تفسير هذه الحوادث على أساس نظرية العقل الباطن وفى ضوء ما وصل إليه علمهم وقد اساءوا إليه اسما وعملا .

هل ما زال المتمنتون منهم يفسرون هذه الحوادث بكونها تخاطباً فكريا أو ينسبونها إلى ذلك العقل المزعوم وليدعهد الجهل والمادية ؟

هل قصد هذا العقل إعطاء الدليل على صحة وجوده فاعطانا اسم الآنسة فيدا وحجز اسم السيد هويت هوك مع أن كلا الاسمين كانا معروفين لديه ومخزونين فى خزانته ؟ !

وقد حدث فعلا أن سردت اختبار الحلم لاحدهم طالبا التعليل فقال إن كلمة Nightmare اندست على غير وعى منى نتيجة قراءتى اياها فى وقت سابق وبدون وعى منى خرجت وظهرت .

تعليل مدهش ومحير كدت أفقد له وعي . فليكن أنى قرأت هـذه الكلمة فى وقت سابق ولنجاريهم بالقول إنها اندست فى ذلك العقل المزعوم ألم تندس معها أيضا كلمة كابوس وهى بطبيعة الحال أسهل بالنظهور من اللفظة الإنجليزية ولا سيما أن صاحب هـذا العقل من أبناء لغة الضاد !

ولـكن هو العقل الباطن صاحب الألاعيب البهلوانية وصانع كل ما هو فوق الإدراك أراد مداعبة صاحبه ، فأبى إلا أن ينتحل شخصية العم جون بول وتفلسف بإعطاء الـكلمة بلغة شخصيته المنتحلة .

ألا كفاكم يا سادة من هراء وتخريف باسم العلم وهو منكم برىء ، وكفوا عن فلسفة الـكلام والسير وراء الخيال الباطل وانزلوا إلى عالم الحقيقة وفسروا الأشياء بعللاتها الأصلية وكما يستسيغها العقل السليم .

إننا يا سادة نعيش فى القرن العشرين عصر العلوم النفسية ، وعين التاريخ البشرى لم تكتحل فى أى دور من أدواره بمثل ما تشاهد الآن من اهتمام بالعلوم الروحية ، ومجهودات تبذل فى دوائر الحياة المختلفة لاستخدام هذه العلوم فى الشئون الحيوية وإقامة صلة وثيقة بينها وبين مطالب الحياة العملية .

ففضل علم الروح الحديث فى إنارة أذهان البشرية وقشع ظلمات الجهل المخيمة على العقول وتبديد سخف الخرافات المتلبدة فى أجواء النفوس ، لا ينكر . فكم من مكتوم فضحه علم الروح الحديث بنوره ، وكم من أسرار وحجب هتك أستارها فأرجع تلك الظواهر العجيبة إلى مصدرها وهو الروح .

فالعقل الباطن والذى تغنى به جماعة الماديين من السيكولوجيين زمنا ليس بالقصير ما هو إلا النفس أو العنصر الخالد والتى باتحادها مع العقل تكون الروح أو شخصية الانسان كاملة .

وخير الطرق وأجداها لأمثالهم هى أن يختبروا هذه الحقائق العظمى بطريقة غير طريقتهم الحالية ، وأن يقلع الذين لا يزالون يتمسكون بنظرية العقل البـاطن والتخاطب الفكرى عن التشبث برأيهم وإلا صاروا كذباب بشرى يعف على حشائش الثقافة القذرة .

والمسألة لا تتعدى تغيير أسماء واستبدال كلمات فلنمح كلمة عقل باطن ونضع مكانها كلمة « نفس » وبهذا يكون علمكم اسما على مسمى ويفتح أذهانكم لجانب باق على أبحاثكم ضوءاً لامعا به تستطيعون حل كل ما يقمض عليكم إدراكه .

افتحوا صدوركم للأبحاث الروحية ونادوا بانقضاء عهد العقل الباطن كما نادى من قبلكم أئمة علمكم وفى مقدمتهم فرويد نفسه صاحب النظرية معترفين بوجود النفس وخلودها بعد موت الجسد .